

نوجديتات ونوجديتات  
في عام سيبو السوات  
صلى الله عليه وسلم

صلى الله  
عليه وسلم  
محمد

ع. عمر بن عمر ابو الرحمن

# توجيهات وتحقيقات في كلام سيد السادات

صلى الله عليه وآله وسلم

الدكتور:

عمر بن محمد عمر عبد الرحمن

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

١

توجيهات وتحقيقات في كلام سيد السادات صلي عليه السلام

---

# توجيهات وتحقيقات في كلام سيد السادات صلي عليه وآله وسلم

عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ  
صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ  
وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ  
هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى  
اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا  
يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى  
مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ».

رواه البخاري ومسلم.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو حسبي وبه ثقتي وعليه اعتمادي ونعم الوكيل

= مُقَدِّمَةٌ =

الحمد لله رب العالمين، وَسَعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ،  
وَتَجَلَّتْ رَأْفَتُهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، حَيْثُ وَقَّعَهُمْ لِعِبَادَتِهِ،  
ثُمَّ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ بِقَبُولِهَا، وَأَجْزَلَ لَهُمُ الْمَثُوبَةَ عَلَيْهَا، فَفَازُوا  
بِالسَّعَادَتَيْنِ؛ نِعْمَةُ الطَّاعَةِ فِي الدُّنْيَا، وَنِعْمَةُ الرِّضَا وَالتَّكْرِيمِ  
فِي دَارِ النِّعَمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الرَّسُولِ الْأَمِينِ، سَيِّدِنَا  
مُحَمَّدِ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ  
الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أَمَّا بَعْدُ ...

فإنَّ الإسلامَ يتعرَّضُ منذَ أشرقتْ شمسُه إلى هجومٍ  
عنيفٍ ومعارضةٍ ضاريةٍ من جانب خصومه الذين يحاولون  
عبثًا أن يطفئوا نورَ الله بأفواههم وافتراءاتهم ومزاعمهم،  
ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ويبطل كيد الكائدين، فهو

سبحانه الذي أكمل الدين وأتم النعمة وارتضى لنا الإسلام دينًا.

ومن هنا لن تنال هذه التهجمات الباغية هدفها، لأن الإسلام قوي بمبادئه السامية وتعاليمه المضيئة، ولا يخشى عليه من أية تيارات مناوئة أيًا كان مصدرها وأيًا كان حجمها طالما وجد هذا الدين من أتباعه من يستطيع فهمه فهمًا سليمًا وإدراك أهدافه ومراميهِ إدراكًا واعيًا.

ولقد تعرضت السنّة النبوية قديمًا وحديثًا لهجماتٍ وطعناتٍ اتخذت ألوانًا وصورًا وأشكالًا متنوعة، تارةً بالطعن في حُجّيتها جملةً بدعوى الاكتفاء بالقرآن الكريم، أو بدعوى التناقض والتضاد الحاصل بين بعض نصوصها في الظاهر، وتارةً بافتراءٍ واختلاقٍ أحاديثٍ ونسبتها زورًا وبهتانًا إلى النبيّ الكريم ﷺ؛ لأهدافٍ وغاياتٍ معينة؛ كالتملّق إلى الحكام وإرضائهم، وتارةً بالطعن في رِوَاة السنّة، وغمزهم بكثرة الرواية على حساب الفهم.

وإنّ من أخطر الطعناتِ والهجماتِ التي تواجه السنّة النبوية في هذا العصر سوءُ الفهم، ليس من أعداء الإسلام

فحسب بل وَمِنْ طائفةٍ مِنْ أبناءِ الأمة الذين لم يتسلحوا بمؤهلات فهم السنة النبوية .

فقد يقع الواحدُ منهم على الحديث، فيبني عليه حكماً، ويكون هذا الحديث عاماً وله مُخصّص، أو مُطلقاً وله مُقيّد، أو مُجملاً وله ما يفسره، أو منسوخاً وله ناسخ، أو وارداً على سببٍ خاص، ونحو ذلك من الاعتبارات التي أصّل لها علماء الإسلام حتى تُفهم السنة النبوية فهماً صحيحاً، ويُدرأ عنها ما قد يظهر عليها عند البعض من اختلافٍ أو تضادٍ أو تعارضٍ .

وقد قويض الله ﷻ للسنة النبوية في كل عصرٍ أعلاماً وأفذاذاً وجهابذةً من العلماء بذلوا الغالي والنفيس في حفظها وضبطها، والذبّ عن عرينها، وحماية بيضتها، فكانوا بحق أسوداً في ميدان السنة النبوية، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ولم تقتصر جهود هؤلاء العلماء على توثيق الرويات، وبيان حال الرواة جرحاً وتعديلاً، بل بذلوا جهوداً كبيرةً في فهم هذه الرويات، وفي رفع ما قد يكون بينها من تعارضٍ

في الظاهر بالجمع والتوفيق، أو بالقول بالنسخ إن عُلِمَ التاريخ، أو بالترجيح بينها بأي وجهٍ مِنْ وجوه الترجيح إن تعذَّرَ الجمع أو القول بالنسخ.

وبعد كل ما بَدَلَهُ العلماءُ الثقات؛ ظهرت علوم حديثية تُعين علي الفهم الصحيح للسنة النبوية، مِنْ أهمها: علم مختلف الحديث ومشكله، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه، وعلم أسباب ورود الحديث، وعلم غريب الحديث.

فَمَنْ يُرِيدَ فَهَمَ السنة النبوية فهماً سليماً صحيحاً لا بُدَّ مِنْ أَنْ يتسلح بهذه العلوم.

وبدون هذه العلوم كلها أو بعضها يستحيل أَنْ تُفهم السنة النبوية فهماً صحيحاً سليماً.

ومما لا ريب فيه أَنَّ السنة النبوية لا يوجد فيها اختلافٌ أو تعارضٌ أو تناقضٌ مِنْ حيث الحقيقة والواقع؛ لأنَّ مصدرها النبي ﷺ، ولا يتناقض النبيُّ مع نفسه في قوله أو فعله؛ لأنَّ ما جاء به مِنَ القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة إِنَّمَا هو وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تعالى، والوحي حق لا تناقض فيه.

قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ  
غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء/٨٢].

وقال أيضًا: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ  
يُوحَىٰ﴾ [النجم/٣، ٤].

ولا يمكن أن يقع التعارض أو التناقض أو الاختلاف  
حقيقةً في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الصحيحة؛  
لأنَّ التعارض أمانةٌ مِنْ أماراتِ الجهل أو العجز تعالى الله  
ورسوله عَنْ ذَلِكَ علوًّا كبيرًا .

وكل خبرين عَلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَكَلَّمَ بهما = فلا يصح  
دخول التعارض فيهما على وجهه ، وَإِنْ كان ظاهرهما  
متعارضين؛ لأنَّ معنى التعارض بين النصوص القرآنية أو  
الحديثية يُبطل التكليف إِنْ كانا أمرًا ونهيًا، أو إباحةً  
وحظرًا، أو يوجب كون أحدهما صدقًا والآخر كذبًا إِنْ كانا  
خبرين، والنبي ﷺ منزهٌ عَنْ ذَلِكَ أجمع، ومعصومٌ منه باتفاق  
الأمّة.

وقد صرَّح الأئمة والعلماء المتقدمون بعدم وقوع  
التعارض أو التضاد حقيقةً في السنة النبوية الصحيحة،

وَمِنْ ذَلِكَ : قول الإمام الشافعي رحمته الله : " لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أبداً حديثان صحيحان متضادان، يَنْفِي أحدهما ما يُثْبِتُهُ الآخر من غير جهة الخصوص والعموم، والإجمال والتفسير، إلا على وجه النسخ، وإن لم يعرفه الباحث أو القارئ".

وقول الإمام ابن خزيمة رحمته الله : " لا أعرف أنه رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان بإسنادين صحيحين، متضادين، فمن كان عنده فليأت بهما حتى أُؤلَّفَ بينهما -أي أوفق بينهما وأجمع-".

ويتضح من كلام الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) ، والحافظ ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ) أَنَّ التعارض بين الأحاديث الصحيحة غير موجود في الحقيقة، وإنَّ ما يدعيه البعض من تعارضٍ؛ فهو تعارضٌ بحسب الظاهر نتيجة عدم جمع كل الروايات والأحاديث الواردة في الموضوع الواحد، لمعرفة كيفية إزالة هذا التعارض.

وإنَّ ما نراه إنما هو تعارضٌ ظاهريٌّ في فهم غير المؤهلين لدراسة السنَّة النبوية؛ وسببُ ذلك؛ إمَّا الجهل بعلم مختلف

الحديث ومشكله الذي به يعرف المسلم كيفية الجمع والتوفيق بين تلك الأحاديث التي يوهم ظاهرها التعارض، أو الجهل بالخاص والعام منها، أو الجهل بالمطلق والمقيد منها، أو الجهل بالمجمل والمفسر منها، أو الجهل بالناسخ والمنسوخ منها، أو الجهل بالترجيح بينها ووجوهه المتعددة التي أوصلها العلماء إلى أكثر من عشرة ومائة وجه.

وحتى يُرفع الجهل بهذه الأمور السابقة لا بُدَّ أولاً من ضرورة علمية، وفريضة حديثية، وركن ركين لفهم سنة النبي الأمين ﷺ ألا وهو: جمع كل الروايات والأحاديث الواردة في المعنى الواحد، والتَّظَرُّ إليها، والتأمل والتدبر فيها جملة.

وبدون ذلك يظل الجهل، ويظل التعارض الظاهري قائم بين الأحاديث، ولو كان المتكلم من المحسوبين علي العلم والعلماء.

وَمِنَ الْمَلَا حِظِّ أَنَّ الَّذِينَ يَنْخَدِعُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَرَدُّونَ شَبَهَاتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ مِنْ أَعْدَاءِ السَّنَةِ إِنَّمَا أَوْقَعَهُمْ فِي الْفَخِّ الَّذِي نَصَبَهُ لَهُمْ هَؤُلَاءِ أَحَدُ هَذِهِ الْأُمُورِ:

- (١) إمّا جهلهم بحقائق التراث الإسلامي، وعدم اطلاعهم عليه من ينابيعه الصافية.
- (٢) إمّا انخداعهم بالأسلوب العلميّ المزعوم الذي يدّعيه أعداء الإسلام.
- (٣) إمّا رغبتهم في الشهرة، والتظاهر بالتححرر الفكري من ربة التقليد كما يدّعون.
- (٤) إمّا وقوعهم تحت تأثير أهواء أو انحرافات فكرية لا يجدون مجالاً للتعبير عنها إلا بالتسّتر وراء أولئك المستشرقين.
- (٥) إمّا إنّه نتيجة طبيعية للانهازم النفسيّ والإحساس بالنقص أمام الحضارة الغربية مع الخواء الروحيّ، والجهل الشرعيّ، فيجتمع من ذلك رغبة في تجديد الدين بحيث تتوافق تشريعاته وأحكامه مع الحضارة الغربية والأفكار المعاصرة.

ولكن تبقي السنّة المطهرة تمثل ولا شكّ إلى جانب القرآن الكريم أسس الدين الإسلاميّ وقاعدته الأساسية التي لا يستقيم للدين أمر ولا فهم ولا فقه دونها.

فبدون السنّة المطهرة تضيع السيرة، وتفقد القدوة، وتنقطع الرسالة، وتبهم معاني الكتاب العزيز، ويُقضي علي فهم الدين.

وقد مُنيت السنّة المطهرة من قديم الزمان بأعداءٍ يُضمرون لها الكيد، ويثيرن حولها الشبهات بتصوراتٍ خاطئةٍ وافتراءاتٍ باطلةٍ، والحمد لله فقد كان مصيرهم الفشل، وباءوا بغضبٍ من الله ورسوله.

وستظل السنة المطهرة -بمشيئة الله- إلى جانب الكتاب العزيز مرجعاً لكل مسلمٍ في إدراك الرسالة وفهم الدين، ومعرفة أحكام الإسلام.

وهذه رسالة موجزة في بيان مكانة السنّة وأهميتها وحُجيتها ورد الإفتراءات والشبهات التي تُثار حولها، مع بيان إعجاز اللفظ النبويّ وبلاغته العالية.

ثم أعقبها بأحاديث مختارة من الهدى النبويّ في موضوعاتٍ إسلاميّةٍ واتجاهاتٍ إنسانيةٍ، كنماذجٍ عمليّةٍ تُبين القيمة البلاغيّة العالية في الحديث النبوي الشريف، قمتُ نحوها بتوضيح بعض ما خفي فيها وتوضيح بعض

المعاني بأسلوبٍ سهلٍ ميسرٍ وتناولٍ مقبولٍ، بما فتح الله به عليّ.

وآثرتُ أنْ يتضمن هذا التوضيح بعض ما تيسر لي من الشواهد من آيات القرآن الكريم، وأحاديث سيد المرسلين صلوات الله وسلامته وبعض الآثار المروية عن بعض الصحابة، والتابعين.

وقد أسميتُ هذا العمل المبارك :

### توجيهات وتحقيقات

في كلام سيد السادات صلى الله عليه وسلم

وهو علي ثلاثة فصول يسبقها تمهيد :

الفصل الأول : في الكلام علي مكانة السنّة، وأهميتها، والرد علي مَنْ يحاول التطاول عليها.

الفصل الثاني : جمال الحديث النبوي .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الحديث النبوي، وتدوينه وضبطه.

المبحث الثاني : الفرق بين أسلوب القرآن والحديث.

المبحث الثالث : توصيف الحديث النبوي.

المبحث الرابع : بلاغة الرسول ﷺ.

الفصل الثالث : توجيهات وتحقيقات بلاغية في بعض الأحاديث النبوية .

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل عشاق الفصاحة النبوية ، ومحبي الرسالة المحمدية .

كما أسأله أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه بكل جميلٍ كفيلاً، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

هذا ... وما كان من توفيقٍ فمن الله ﷻ وحده، وما كان من تقصيرٍ أو زللٍ فمني ومن الشيطان .

وما أجمل ما قاله القاضي الفاضل البيساني :

" إني رأيتُ أنه لا يكتبُ أحدٌ كتاباً في يومه ؛ إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيدَ هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان

أجمل! وهذا مِنْ أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء  
النقص على جملة البشر .

فيا رب هذا منك، وفيك، وعنك، وبك، وإليك، ....  
اهد به قلبي .. وسدد فيه بناني .. وثبتت دونه حُجَّتِي ..  
وانفع به، وارفع .. يا حَنَّان ..

والحمدُ لله ربَّ العالمين!

أبو صهيب

عمر بن محمد عمر عبد الرحمن

حامداً مريداً، ومصلياً علي رسولهِ



## مَهَيِّدٌ

منذ أن بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين بدعوة التوحيد، والحرب مستعرة بين الإيمان والكفر، وهي حربٌ معقدة، متسعة الآفاق، متعددة الجبهات، وإحدي هذه الجبهات التي يُقاتل فيها أولياء الله؛ جبهة نصوص الكتاب والسنة .

وكان للحفظ الكامل لكتاب الله الأثر الأكبر في صرف هم أعداء الدين عن محاولة العبث به إلى السنة المطهرة، لكنهم بذلوا كل طاقتهم وجهدهم إلى محاولة التشكيك فيه، ولما عجزت تلك الحملات الشديدة والمركزة على القرآن، أن تنال من القرآن بل إن هذه الحملات لما ازدادت ضراوة وحدة لفتت أنظار الواعين إلى القرآن من المسلمين وغير المسلمين على الأقل وكي يتبينوا هذا الشيء الموجود والذي كثر الهجوم عليه، فبدأ يتأملونه من جديد ويفحصونه بعمق وأناة، فأعرب لهم طول التبيان عن أنه كتاب منزل من عند الله، ولا يمكن أن يكون من نتاج عقل بشر

مهما أوتى من قوة العبقرية، حتى ولو كانت هذه العبقرية،  
عبقرية حازقة تمثل عقلية نبي من الأنبياء.

وأحس الرابضون خلف الكواليس أن المعركة توشك  
أن تسفر عن نتيجتها الخاسرة بالنسبة إليهم، فتركوا جماعة  
قليلة من جماعاتهم في هذا الموقع يشاغبون فيه، وسحبوا  
الباقيين إلى جهة أخرى إلى السنة النبوية المطهرة.

والسنة النبوية المطهرة مجال واسع يخيل أمام الناظرين  
أنه يمكن لأعداء الإسلام أن يعبثوا في جنباته.

فعمدوا إلى السنة النبوية المطهرة -علي صاحبها أفضل  
الصلاة وأتم التسليم- متوهمين أنّ الله تعالى لم يتكفل  
بمحافظة، مع أنّ الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا نَحْنُ  
نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/٩].

وهذه الآية وإن كان المراد بها القرآن الكريم في أصح  
الأقوال، إلا أنّ حفظ السنة الشريفة من لوازم حفظ  
الشريعة.

وقد اختارها الله تعالى ديناً لعباده إلي أن تقوم الساعة،  
وختم بها الشرائع.

وكان من لوازم هذا التدبير الإلهي أن يحفظ الله هذه  
الشرعية الغراء، ولن يتحقق هذا الحفظ إلا بحفظ أصلها  
العظيمين: الكتاب، والسنة.

فمنذ أن هبط الوحي الأمين على صاحب الرسالة  
الخاتمة سيدنا محمد ﷺ والقلاقل لا تترك المسيرة الإسلامية  
فمن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله .

ومن الناس كذلك من إذا تولى سعى في الأرض ليفسد  
فيها ويهلك الحرث والنسل.

ومن الناس أيضًا من يعجبك قوله في الحياة الدنيا وهو  
ألد الخصام.

ومن الناس من يجادل في آيات الله بغير علم.

ومن الناس من يفترى على الله الكذب ...

وكل ذلك للصد عن سبيل الله، وهناك الذين يحاولون  
أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ولكن الله يأبى إلا أن يتم  
نوره.

محاولات متكررة، ومغالابات متجددة والكل يريد أن يصادم الحق، ويعلو عليه، وأهواء النفس كثيرة ونزغاتها أكثر.

ولكن الله يقيض لدينه دائماً من يحميه ويدافع عنه ودين الله محفوظ مستقر ؛ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

## الفصل الأول



**في الكلام علي مكانة السنة  
وأهميتها، والرد علي من  
يحاول التطاول عليها.**



إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهَدْيِ وَدِينِ الْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ هَدْيً وَنُورًا، وَأَوْحَى إِلَيْهِ بِالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ الثَّانِي لِدِينِنَا الْحَنِيفِ وَالنُّورِ الْوَهَّاجِ الَّذِي اسْتَضَاءَتْ بِهِ الْأُمَّةُ، وَتَسْتَضِيءُ إِلَيَّ أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

ونلاحظ أنّ محاولة العبث بهذا الدين تأتي دائماً من ناحية السنّة .

لماذا؟!!

لأنّ الله حفظ القرآن الكريم بقدرته هو، حفظه من العبث البشري؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/٩].

وإذا كان هذا الحفظ بالنسبة للقرآن فلن تستطيع يد أن تعبت به، تزيد فيه كلمة أو تُنقص منه أخرى؛ لأنّه محفوظ بقدره الله .

ولهذا اتّجهت كل القوي المعادية للإسلام تحاول أن تعبت بالسنّة الشريفة؛ لأنّها محفوظة بقدرات البشر، فبعضهم

يحاول أن يُخفي بعض أحاديثها، أو يضيف إليها، أو يطعن في صحتها أو يشكك في صحة نقلتها، وتعددت لذلك وسائلهم واختلفت مسالكهم، فمنهم من تولى حملات التشكيك في ثبوت السنّة، ومنهم من حملوا لواء الطّعن في حُجّيتها ومصدريتها لتشريع الإسلام وتوجيهه، وزعموا أنّهم استغنوا بالقرآن عن السنّة، ومنهم من يحاول هدم السنّة بالسنّة نفسها، وذلك بأخذ بعض الأحاديث وتحريفها عن موضعها، والإستدلال بها على غير ما تدل عليه.

ولكن من فضل الله علينا أن يتوافر المحققون من علماء الإسلام منذ قديم الزمان على جمع أحاديث رسول الله ﷺ وتحريجها والتأكد من صحتها.

وَمَا زَالَ علماء الإسلام حتي الآن يقومون بجهود كبيرة في خدمة حديث رسول الله ﷺ إذ أنّ الدفاع عن السنّة المطهرة واجب ديني، وحتماً على كل غيور أن ينافح عنها ويدافع -ولا سيما- في هذه الآونة التي تواجه فيها السنّة المطهرة هجمات شرسة من الذين يحاولون اغتيالها

والإجهاز عليها بكلِّ ما استطاعوا مِنْ قُوَّةٍ، وَمَا مَلَكَوْا مِنْ حِيلَةٍ.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ وحذرنا من هؤلاء المشككين في السنة الطاعنين، مِنْ قَبْلِ ظُهُورِهِمْ وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يُعْرَفُوا، فَقَالَ ﷺ فِي شَأْنِ هَؤُلَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا وَيُرْجُوا أَفْكَارَهُمُ الْمَسْمُومَةَ الضَّالَّةَ وَالْمُضَلَّةَ؛ كَمَا جَاءَ عَنِ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوْشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانٌ عَلَيَّ أُرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَجِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ، وَلَا لُقْطَةُ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعَقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهِ»<sup>(١)</sup>.

والله تعالى قد جعل طاعة الرسول ﷺ طاعةً له، إذ يقول تعالى في كتابه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء/٨٠].

(١) رواه أبو داود ١٤/٧ (٤٦٠٤)، وأحمد ١٣١/٤ (١٧١٧٤) وغيرهما.

وجاء عن عُبيد الله بن أبي رافع عن أبيه، عن النبي ﷺ قال<sup>(١)</sup>: « لا أُلْفَيْن أَحَدَكُمْ مُتَّكِنًا عَلَيَّ أُرِيكْتَهُ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ ».

فظهر هؤلاء المجادلين في السنّة الطاعنين فيها لم يكن مفاجأة لنا إنّما هو من معجزات النبوة التي أنبأتنا بما سيحدث قبل أن يحدث بعدة قرون .

وقد أخذت الهجمة علي السنّة المطهرة صورًا وأشكالاً شتى من إصدار كتب، إلي تأليف أحزابٍ وجمعياتٍ، إلي إصدار أوامر جائزة تتلف فيها الكتب، ويضطهد بسببها العلماء من حملة السنّة النبوية ومُحَمَّاتِهَا عبر القرون الطوال التي شعت فيها أنوار الشريعة الغراء.

ولقد كانت السنّة النبوية المطهرة ثانية اثنين هما أساس الحضارة الإسلامية العظيمة بكل معطياتها ونتائجها، اثنان هما الكتاب والسنة ، وَلَمْ يَزَلْ هَذَانِ الْمَشْعَلَانِ النَّيِّرَانِ يَسْطَعَانِ عَلَي الْعَالَمِ بِأَنْوَارِهِمَا سَالِمِينَ مُحْفُوظِينَ

(١) رواه أبو داود ١٥/٧ (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣).

بِحفظ الله ﷻ مرعيين برعايته، يتحديان أعداءهما في كل زمانٍ ومكانٍ.

وقد طالب هؤلاء المشاغبين بأن نحتكم إلي القرآن الكريم، ونحن نتفق معهم، وسنحتكم معهم إلي القرآن الكريم لنري مَنْ مِنَّا علي حقٍّ، وَمَنْ هو علي باطلٍ!

ماذا قال الله ﷻ في كتابه العزيز!؟

ألم يقل الله ﷻ : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران/١٣٢]!؟

فهذه الآية الكريمة تلفتنا إلي أن طاعة الله وطاعة الرسول مِنْ منبعٍ واحدٍ، هو طاعة الله .

والرسول ﷺ مبلغٌ عن الله، يحمل إلينا القرآن، الذي يوحي إليه دون ما شهودٍ مِنَ البشرِ -أي بينه وبين جبريل الكليلا- ثم يأتي الرسول ﷺ ليبلغنا بالقرآن كما أوحى إليه دون تغييرٍ حرفٍ واحدٍ .

ولقد كان ﷺ يتلو الآية عندما تنزل عليه، ثم يقرؤها في الصلاة، ثم يملئها لكتابة الوحي من الصحابة؛ لتحفظ في

الصدور وتكتب في السطور. إذن فطاعة الرسول ﷺ هي من طاعة الله ﷻ؛ لأنَّ الرسول ﷺ يبلغنا ما يريد الله ﷻ منا، فطاعتنا له وتصديقنا إياه في كل ما يُخبر عن الله .. هو طاعة لله.

ويقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد/٣٣].

ففي الآية السابقة علي هذه الآية كانت طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ﷻ، وفي هذه الآية يتبين أنَّ طاعة الرسول من أمر الله.

فالله ﷻ أعطي الرسول ﷺ هنا حق الطاعة، وطلب من المؤمنين أن يطيعوه. فكأن هناك أشياء سيتم تشريعها من الله ﷻ وأشياء سيتم استكمال تشريعها من رسول الله ﷺ.

فالله ﷻ سيترك لرسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوي حدوداً معينة في التشريع ولذلك طلب منا أن نطيعه.

وتكفي هذه الآية لتلفتنا إلى أنَّ طاعة رسول الله ﷺ واجبة علينا بنص القرآن.

وَأَنَّ كُلَّ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ يَكْذِبُهُ الْقُرْآنُ، الَّذِي قَالَ صِرَاحَةً ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ولم يضع حدودًا لهذه الطاعة، وإِنَّمَا تَرَكَهَا مُطْلَقَةً. فخط الطاعة واحد<sup>(١)</sup>. طاعة الرسول من جنس طاعة الله .

(١) شبهة والرد عليها :

بعض الطاعنين في السنة يحاولون أن يُثيروا مسألة ظنًا منهم أن يضعوا الشك في قلوب المؤمنين، فيقولون : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ صَحَّحَ لِنَبِيِّهِ أَحْكَامًا كَثِيرَةً كَحُكْمِ أُسْرِي بَدْرٍ الَّذِينَ كَفَهُمُ الرَّسُولُ بِتَعْلِيمِ الْمُسْلِمِينَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ، أَوْ مَنْ أَخَذَ مِنْهُمْ الْفِدْيَةَ فَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال/٦٧].

وفي قضية التبني - أيضًا - حين تبني رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فسماه : زيد بن محمد.. ونزل قول الله ﷻ ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب/٥]، وغير ذلك من القضايا التي صحح الله ﷻ أحكامًا لرسوله ﷺ. ونقول لمن يثير مثل هذه القضايا لهدم السنة : نعم عندما يصحح الله لرسوله بعض الأحكام يكون شرفًا لرسول الله ﷻ أن يُصحح له ربه .

إِنَّ هَذَا التَّصْحِيحَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ هُوَ تَطْمِينٌ لَنَا أَنَّ حُكْمًا لَمْ يَتْرَكْ بِلَا تَصْحِيحٍ، وَأَنَّ مَنْهَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷻ وَسُنَّتَهُ مَحْرُوسَانِ بِعِنَايَةِ السَّمَاءِ، وَأَنَّ تَمَّ تَصْحِيحَ كُلِّ مَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يَقْرَهُ وَأَصْبَحَتْ كُلُّ أَحْكَامِ السَّنَةِ مَقْرَةً، وَانْتَهَى عَهْدُ النَّبُوَّةِ. إِنَّ مَا يَجِبُ أَنْ نَتَأَكَّدَ مِنْهُ فِي السَّنَةِ هُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷻ قَالَ كَذَا أَوْ لَمْ يَقُلْ .. أَي : لَا بُدَّ أَنْ نَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ الْحَدِيثِ وَنَسْتَوْتِقَ مِنْهُ .. هَذِهِ هِيَ مَهْمَتُنَا . ومادام رسول الله ﷻ قال؛ فقد صدق .. ومادام قد أمر؛ فهو يُطاع.

وفي آيةٍ أُخري يقول الحق ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ  
تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء/٥٩].

والرد إلى الله تعالى وإلى الرسول ﷺ عند التنازع في أي  
أمر من أمور الدين دقيقاً كان أو جليلاً، هو الرد إلى كتابه  
المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،  
والرد إلى رسوله في حياته وإلى سنته بعد وفاته، وهو من  
مقتضيات الإيمان ولوازمه، وقد أخبر تعالى أنه خير  
للمؤمنين، وأن عاقبته أحسن عاقبة إذ به الهداية وفيه  
النجاة، كما أن الإيمان لا يتم إلا بالاحتكام إلى الرسول في  
حياته، وإلى سنته الثابتة بعد وفاته فيما يعرض من  
الخلافات والمنازعات وبقبول قضاءه برضا وطمأنينة  
وتسليم وإذعان.

فمرد السنّة إلى الوحيّ في جميع الأحوال، وهي واجبةُ  
الاتباع والطاعة في كلّ ما شرعه النبي ﷺ أو ما صدر عنه  
من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير؛ فمن أخذ عن رسول الله، فعن  
الله تعالى أخذ.

ولهذا يقول الإمام ابن قيم الجوزية : وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء/٥٩] فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول؛ إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» وقال: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» وقال في ولاة الأمور: «مَنْ أَمَرَكُمْ مِنْهُمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلَا سَمْعَ لَهُ وَلَا طَاعَةَ»<sup>(١)</sup>. اهـ

(١) إعلام الموقعين للإمام ابن القيم ٣٨/١.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالتَّامِصَاتِ وَالْمُتَمَصِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ».

قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ، فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَمَصِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ»، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحِي الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتَ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر/٧] قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>.

ورأي رجلاً محرماً في ثيابه المخيطة، فقال له: اطرح هذا عنك! فقال له الرجل: أتقرأ عليّ آية من كتاب الله؟! فقال ابن مسعود رضي الله عنه: نعم، وتلا هذه الآية <sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الشيخان، البخاري ١٤٧/٦ (٤٨٨٦)، ومسلم ١٦٧٨/٣ (٢١٢٥).

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٣٧٥/١٤ - ٣٧٦.

وقال الإمام الشافعي: ليست تنزل بأحدٍ نازلة إلا في كتاب الله الدليل علي سبيل الهدى فيها، فإن قيل: من الأحكام ما ثبت ابتداءً بالسنة، قلنا: ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة، لأن كتاب الله أوجب علينا اتباع الرسول ﷺ، وفرض علينا الأخذ بقوله<sup>(٣)</sup>.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء/٦٩].

فلقد ربط الله ﷻ المنزلة العالية في الآخرة؛ وهي الوصول إلى منزلة النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وهي أعلى المنازل في الجنة - ربط الوصول إلى هذه المنزلة - بطاعة الله والرسول.

ولم يقل ﷻ: مَنْ أطاع الله، وترك سنة الرسول فهو في أعلى المراتب في الجنة.

ولم يقل ﷻ: مَنْ أطاع ما جاء في القرآن فهو في أعلى المراتب في الآخرة.

(٣) انظر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٧٨/٤ - ٧٩.

بل قال ﷺ : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾.

فربط الله تعالى بين طاعته وطاعة رسوله بأعلي منزلة في الآخرة، فكل مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَبَوَّأَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الْعَالِيَةَ لَا بُدَّ أَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ، وطاعة الرسول ﷺ في اتباع سنته .

وقال الله تعالى في آية أخري مبيناً أَنَّ طَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ سبب الفوز العظيم فقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب/٧١].

كما أخبر تعالى أَنَّ طَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ سبب لرحمته : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة/٧١].

وفي طاعته ﷺ حياة القلوب؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ [الأنفال/٢٤].

وطاعته سبب الهداية والصلاح ؛ ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾  
[النور/٥٤].

بل إِنَّ طاعته ﷺ سبب لدخول الجنة، قال الله تعالى :  
﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء/١٣].

وقد جاء في الحديث الصحيح أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي  
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟  
قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»<sup>(١)</sup>.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ  
عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر  
.7/].

وهذه الآية الكريمة تُعطي لرسولِ اللهِ ﷺ حَقَّ التشريع  
وهو مالم يُعطه لرسولٍ قبله، فقالَ لنا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ  
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ .

فلقد كان مِنْ مهام الرسول الأمين ﷺ أَنْ يُشَرِّعَ لِأُمَّتِهِ،  
وَأَنْ يَضَعَ لَهَا مِنَ التَّشْرِيعِ مَا يَضْمَنُ لَهَا سَلَامَةَ دِينِهَا

<sup>(١)</sup> رواه البخاري ٩٢/٩ (٧٢٨٠).

ودنياها، وَمَا يقيها الفتن، وَمَا يجعلها قادرة علي مواجهة متطلبات الحياة الدنيا إلي قيام الساعة.

فهذا الدين الحنيف جاء ليظل قائمًا مهيمًا علي حركة الكون إلي يوم القيامة، والمسلمون مؤتمنون علي منهج الله. فتشريع الرسول ﷺ واجب التنفيذ بحكم القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم يجي قول الله ﷻ: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء/٨٠]؛ ليؤكد لنا الحق ﷻ أن طاعة الرسول هي من طاعة الله.

فلم يقل الله ﷻ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ﷺ فهذا حسنٌ، أو مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﷻ؛ إنما قال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

فكيف يأتي بعد ذلك مَنْ يقول إذا لم تطع الرسول، ولم تعمل بأحكام السنّة، فلا جرم عليك، ولا معصية ولا تُحاسب!؟

إننا نقول لهؤلاء الذين يرددون هذا الكلام: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ  
به؟!

فالله تعالى يقول: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ  
وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء/٨٠].

ويقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ  
فَأِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن/١٢].

فهو سبحانه يحذرنا في هذه الآية الكريمة مِنْ عدم طاعته، أو عدم طاعة رسوله، ويحذرنا مِنْ أَنَّ الرسول ﷺ مهمته أن يُبلغنا، وليس أَنْ يجبرنا علي الطاعة، أو علي الإيمان. ومادمننا قد بُلغنا؛ فَإِنَّ الحساب يصبح عدلاً في الآخرة، لأننا بلغنا ولم نطع .

إِنَّ الرسول المحكوم بمنهج السماء وبإله يُصح له ويهديه إلي ما يريد، هو الذي يضع الإطار المحكم في تنفيذ منهج الله، والمطلوب ممن آمنوا به واتبعوه أَنْ يظلوا في هذا الإطار، حتي لا ينحرفوا بالدين.

وهذا الإطار هو الذي يعدل حركة العبادة إذا حاول النَّاسُ الإنحراف بها.

إِنَّ اللَّهَ ﷻ قد أعطانا في القرآن الكريم مِنَ الآياتِ مَا يجعلنا ندرك أهمية سنّة رسولِ الله ﷺ وأنّ هذه السنة إذا تُركت وأهملت؛ انحرف النَّاسُ بالدين، وأنّ رسول الله ﷺ هو القدوة لهذه الأمة وقت نزول الرسالة، وسيظل القدوة لها إلى أن تقوم الساعة، فالله ﷻ يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب/٢١].

فالله ﷻ كان قادرًا علي أن ينزل المجل، الذي أوردته في القرآن الكريم مفصلاً، كان قادرًا علي أن ينزل عدد ركعات كل صلاة، وكيفية أدائها مفصلاً، وكذلك الحج، وكذلك الزكاة، وأحكام الصلاة: من ركعتي السهو، وصلاة الاستخارة، وصلاة الاستسقاء وغير ذلك.

لقد كان مِنَ الممكنِ أن ينزل هذا كله، كما نزلت كيفية صلاة الخوف، التي تؤدي خلال الحروب، وعدد ركعاتها، لقد شاءت إرادة الله ﷻ أن يترك ذلك لرسوله ﷺ وجعل سنّته واجبة الاتباع، فأصبح ما لا نستطيع أن نعرف تفاصيله في القرآن الكريم، تأتي السنّة الشريفة لتفسره لنا.

ولذلك قال سيدنا رسول الله ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»<sup>(١)</sup>.

وما يَرِدُ علي السنة بعض المعاندين مِنْ عرض الحديث علي القرآن فما وافقه فهو الصحيح، وما خالفه فهو باطل في مثل استدلالهم بقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل ٨٩/]، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام ٣٨/]، وما نسبوه إلي الرسول الكريم ﷺ مِنْ قوله: " إذا سمعتم عني حديثًا فاعرضوه علي كتاب الله؛ فإن وافق فارووه وإن لم يوافق فلا " أو " فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف فلم أقله"، فردُّ عليهم بما يلي:

أَمَّا الآيَةُ الْأُولَى فَمَعْنَاهَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بَيَانٌ لْجَمِيعِ أُمُورِ الدِّينِ إِمَّا بِالنَّصِّ، أَوْ بِالِإِحَالَةِ عَلَي السَّنَةِ الْمُطَهَّرَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل/٤٤].

(١) رواه الحاكم في المستدرک ١٧٩/١ (٣١٩) من حديث أبي هريرة ؓ.

ولأنَّه جَلَّ ذِكْرُه يَقول: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾  
[النحل/٦٤].

فالقُرآنُ تبيانٌ لكلِّ شيءٍ، أو تبيانٌ مُغنٍ ببيان الرسول

صلى الله  
عليه وسلم

ويبدو هذا جلياً من قوله تعالى في وصف القرآن الكريم  
: ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مع قوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم  
﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمْ﴾.

وأما المراد بالكتاب في الآية الكريمة الثانية من قوله  
تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام/٣٨]؛ فهو  
اللوحة المحفوظ، وليس القرآن، بدليل سياق الآية الكريمة  
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ  
أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ  
يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام/٣٨] أي أن هذه الأمم مكتوب أرزاقها  
وآجالها كما كُتِبَ أرزاقكم وآجالكم، ما تركنا أو أغفلنا  
﴿فِي الْكِتَابِ﴾ أي في اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من  
ذلك لم نكتبه، فالله تعالى لا يعزب عن علمه وتقديره  
شيء، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني الأمم كلها، يحشرها

فيعضها وينصف بعضها من بعض<sup>(١)</sup>، ويحاسب من يستحق المساءلة والحساب والنعيم والعذاب<sup>(٢)</sup>.

وأما الحديث الذي نسبوه للنبي ﷺ فلا أصل له، وهو من الأحاديث الباطلة، أَخْبَرَ عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الثَّقَاتِ أَنَّهُ حَدِيثٌ مُضَوِّعٌ وَضَعَهُ الزَّنَادِقَةُ.

بَلْ لَوْ عَرَضْنَا أَمْثَالَ هَذِهِ الْمَقُولَاتِ الْمَكْذُوبَةِ عَلَيَّ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى لَخَالَفْتَهُ؛ لِأَنَّا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر/٧]، وفيه: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء/٨].

ولا يقتضي ذلك - عقلاً أو شرعاً - أَنْ تَأْتِيَ السَّنَّةُ بِمَا يُخَالِفُ الْكِتَابَ؛ فَإِنَّ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ لَا تَتَضَارَبُ وَلَا تَتَعَارَضُ.

ولكن المقصود من ذَلِكَ أَنَّ السَّنَّةَ لَا تَحْتَاجُ فِي ثبوتها إِلي عرضها علي الكتاب وإلي التوفيق بينها وبينه، فكلاهما

(١) الحديث والمحدثون للشيخ محمد محمد أبو زهوس ص ٢٢.

(٢) انظر كتاب: " السنة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية"، تأليف أ.د/ عدنان محمد زرزور ١٢٠/١.

وحيٌّ مِنَ اللَّهِ ﷻ وهو القائل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء/٨٢].

وَمِنْ هُنَا نَتَبَيَّنُ أَنَّ ثُبُوتَ حُجِّيَةِ السَّنَةِ وَاسْتِقْلَالَهَا بِتَشْرِيعِ الْأَحْكَامِ ضَرُورَةٌ شَرْعِيَّةٌ ثَابِتَةٌ.

وَيُرِي الشَّاطِبِيُّ فِي الْمَوَافِقَاتِ (١٤/٤) أَنَّ الْحَدِيثَ إِمَّا وَحِيٌّ مِنْ اللَّهِ صَرَفًا، وَإِمَّا اجْتِهَادٌ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ مَعْتَبَرٌ بِوَحْيٍ صَحِيحٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ.

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم/٣، ٤، ٥].

وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنَّ يُؤَدِّي اجْتِهَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ مَخَالَفَةِ الْقُرْآنِ أَوْ مَعَارَضَتِهِ دُونَ وَحْيٍ يَرُدُّهُ إِلَىٰ الصَّوَابِ. وَلَكِنْ قَدْ تَأْتِي السَّنَةُ بِمَا لَا يَحْمِلُ مَخَالَفَةَ وَلَا مَوَافَقَةَ، بَلْ بِمَا يَكُونُ مَسْكُوتًا عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ، إِلَّا إِذَا قَامَ الْبُرْهَانُ عَلَيَّ خِلَافِ ذَلِكَ. وَحِينَئِذٍ فَلَا بُدَّ فِي الْحَدِيثِ - عَلِيٍّ وَجْهَ الْعُمُومِ - مِنْ مَوَافَقَةٍ لِكِتَابِ اللَّهِ. اهـ (بتصرف).

أَمَّا إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ مُخَالَفًا يَكْذِبُهُ الْقُرْآنُ وَالسَّنَةُ = وَجَبَ أَنْ يُدْفَعَ، وَيُعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ.

وَنَتِيجَةٌ لِدَلِكِ فَإِنَّهُ يُحْكَمُ بِصَحَّةِ إِعْتِبَارِ الْحَدِيثِ  
بِمَوَافَقَتِهِ الْقُرْآنَ وَعَدَمِ مَخَالَفَتِهِ فِي الْمَجْمُوعِ الْعَامِ.

وَإِنَّ الَّذِينَ يَعلَنُونَ الْحَرْبَ عَلَيِ السَّنَةِ بِإِنْكَارِهَا وَالطَّعْنَ  
فِيهَا يَعلَنُونَ فِي صِرَاحَةٍ أَنَّهُمْ لَا يَحِبُّونَ اللَّهَ، وَلَا يَحِبُّونَ  
لِقَاءَهُ، ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿قُلْ إِنْ  
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ  
ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران ٣١].

فَكَانَ الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَعْلَنُوا  
بَادئِ ذِي بَدءٍ أَنَّهُمْ لَا يَحِبُّونَ اللَّهَ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:  
﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ وما داموا هم يأبون أن يتبعوا  
رسول الله، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّهُمْ.

فَهَذَا هُوَ حَكْمُ الْقُرْآنِ فَيَمَنُ يَقِفُ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ  
مَوْقِفًا مَعَادِيًا. ﷻ

فَالَّذِي لَا يَتَمَسَّكُ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ = ضَالٌّ، وَالَّذِي  
يَتَمَسَّكُ بِهَا = هُوَ الَّذِي يَصِلُ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا جَنَّاتِ  
عَدْنٍ.

وفي هذا يقول الإمام الشوكاني: " إنَّ ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يُخالف في ذلك إلا مَنْ لا حظ له في الإسلام " (١).

وَمِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَنَّهُمْ إِذَا دَعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور/٥١، ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب/٣٦].

وإنَّ الذلة والصغار يلازمان مَنْ خالف أمر رسول الله ﷺ لذا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة/٥].

(١) إرشاد الفحول للشوكاني ٢٩/١.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي  
الْأَذَلِّينَ﴾ [الأحزاب/٢٠].

كما أنَّ عصيان هذا النبيِّ الكريم ومخالفة أمره مؤذن  
بالعذابِ الأليم، وسبب الضلال المبين، وسبب دخول  
الجحيم؛ قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ  
أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور/٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ  
يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء/١٤].

وقال أيضًا: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا  
مُبِينًا﴾ [الأحزاب/٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ  
جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن/٢٣].

## الفصل الثاني



## جمال الحديث النبوي<sup>ص</sup>



وفيه أربعة مباحث :-

المبحث الأول :

تعريف الحديث النبوي، وتدوينه وضبطه.

المبحث الثاني :

الفرق بين أسلوب القرآن والحديث .

المبحث الثالث :

توصيف الحديث النبوي .

المبحث الرابع :

بلاغة الرسول ﷺ .

# المبحث الأول

## تعريف الحديث

### النبويّ، وتدوينه، وضبطه .

## تعريف الحديث النبوي

الحديث لغةً: ضد القديم، أو قليل الكلام وكثيره<sup>(١)</sup>، ولعلَّ تعريفه في اللغة بذلك؛ لأنَّه في مقابل كلام الله ﷻ القديم.

وجمع حديثٍ؛ أحاديث علي غير قياسٍ. قال الفراء: واحد الأحاديث أحدوثة، ثم جعل جمعاً للحديث<sup>(٢)</sup>.

أمَّا في الإصطلاح؛ فهو: كل ما أُضيف إلي النبي ﷺ من قول<sup>(٣)</sup>، أو فعل<sup>(٤)</sup>، أو تقرير<sup>(٥)</sup>، أو سيرة<sup>(٦)</sup>، أو صفة

(١) كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء/٨٧]، وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثًا﴾ [سبأ/١٩].

(٢) القاموس المحيط ١/١٦٣، لسان العرب ١/٧٩٧.

(٣) فالقول هو الألفاظ النبوية، نحو حديث: "إنما الأعمال بالنيات...".

(٤) وهو التصرفات النبوية العملية. نحو ما ورد عنه مِنْ أفعال الوضوء والصلاة والحج.

(٥) وهو ما يحدث بحضرة النبي ﷺ أو في زمنه ويسمع به؛ ويقره النبي ﷺ أو يقره الوحي، فلا ينكر ولا يغير، فيكون هذا الفعل مقراً شرعاً.

ويعرفه بعضهم = بأنَّه ما يقع من غيره ﷺ باطلاعه أو علمه فلا ينكره.

(٦) وهي ما يُنقل عنه ﷺ مِنْ غزواته وفتوحاته وحالاته وقت السلم ووقت الحرب وخبر مولده ووفاته وأزواجه وأولاده وما له صلةٌ بحياة النبي ﷺ.

خُلِقِيَّة<sup>(١)</sup>، أو خَلْقِيَّة<sup>(٢)</sup>، حتي الحركات والسكنات في اليقظة  
والمنام.

ويستعمل المحدثون كلمة " السُّنَّة " فيريدون بها نحو ما  
يريدون بالحديث.

كما أنَّهم يستعملون كلمة " خبر "، " أثر " ويريدون بهما  
المعني الذي يُراد من الحديث.

وربما أطلقوهما علي ما هو أعمّ من معني الحديث الذي  
ذكرناه؛ بحيث يشمل ما يُضاف إلي الصحابة والتابعين  
أيضًا.

(١) والصفة الخلقية هي ما نُقِلَ إلينا مِنْ أخلاق الرسول ﷺ كيف كانت، نحو  
كرمه وسخائه وشجاعته، وسماحته وقوته وصدقه.

(٢) وهي ما يُنْقَلُ لنا عَنْ هيئته ﷺ كالطول والقصر، ولون الوجه، وغير ذلك.

ويتكون الحديثُ من طرفين : السند ، والمتن .

### أولاً : السند

لغةً: فهو ما استندت إليه مِنْ حائِطٍ وغيره . والسند  
عمد الإنسان، يُقال له سند: أي معتمد. وتقول: " فلان  
سند فلان " إذا كان يلجأ إليه، ويعتمد في أموره عليه.

والجمع أسناد، أو الجمع كالواحد.

وأُسندت الحديثَ إلي قائله ؛ رفعته إليه بذكر ناقله<sup>(١)</sup>.

وإصطلاحاً: سلسلة الرجال الموصلة للمتن<sup>(٢)</sup>.

أو حكاية طريق المتن. أو الإخبار عن طريق المتن. أو  
الطريق الموصلة إلى المتن<sup>(٣)</sup>.

أو طريق متن الحديث<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب ٣/٢٢٠، المصباح المنير ١/٢٩١، القاموس المحيط ١/٤١٧.

(٢) راجع تدريب الراوي ١ / ٤١ . وهذا تعريف فيه نظر عند كثير من  
المحدثين لأنه فيه نظر إلي (ظاهر السند) فقط لا إلي (حقيقة السند).

(٣) أي الرجال الموصولون إلي متن الحديث شيخاً عن شيخ، إلي أن تصل إلي  
لفظ الحديث.

(٤) توجيه النظر إلي أصول الأثر ج ١ ص ٩١ .

والسند، الإسناد<sup>(١)</sup>، والطريق<sup>(٢)</sup>، الوجه سواء عند المحدثين.

وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَ "السند" و "الإسناد"؛ فبحسب المعنى اللغوي، لا الاصطلاحي.

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الاصطلاح فالمحدثون يستعملون السند والإسناد لشيء واحد.

وَأَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُونَ "الطريق" علي الإسناد إلي الراوي الذي يرجع إليه الحديث؛ فيقولون مثلاً: "هذا الحديث يُروى مِنْ طَرِيقِ عَنِّ أَنَسٍ، أَوْ عَنِ الزَّهْرِيِّ"، أَوْ "مِنْ طَرِيقِ فُلَانٍ عَنِ أَنَسٍ، أَوْ عَنِ الزَّهْرِيِّ"؛ وهكذا.

(١) بعضهم يري أنَّ الإسناد هو: عزو (أو: رفع) الحديث إلي قائله مسنداً. فيقال أسند الحديث أي رفعه إلي قائله مسنداً.

والأشهر أنَّه مرادفٌ للسند، قال ابن جماعة: المحدثون يستعملون السند والإسناد لشيء واحد.

[راجع المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي لابن جماعة ص ٣٧].

(٢) وهو أسماء الرواة [انظر معجم مصطلحات الحديث ص ٨٧].

يقول الدهلوي: (السند: طريق الحديث، وهو رجاله الذين رووه، والإسناد بمعناه، وقد يجيء بمعني ذكر السند، والحكاية عن طريق المتن).

[ينظر مقدمة في أصول الحديث للدهلوي ١/٤٠].

قال طاهر الجزائري الدمشقيّ : وسند الحديث هو ما ذكر قبل المتن، ويُقال له الطريق لأنه يوصل إلى المقصود هنا، وهو الحديث كما يوصل الطريق المحسوس إلى ما يقصده السالك فيه، وقد يُقال للطريق الوجه، تقول: هذا حديثٌ لا يعرف إلا من هذا الوجه<sup>(١)</sup>.

وسمي بالسند؛ لأنه يعتمد عليه العلماء في الحكم على صحة الحديث أو ضعفه أو انقطاعه أو إعضاله أو إرساله ... وغير ذلك.

وكما هو معلوم، فإنّ حديث النبي ﷺ يأتي على صورة: حدّثنا فلان عن فلان أنّ فلاناً قال: أخبرنا فلان، قال: أنبأنا فلان، قال: سمعتُ النبي ﷺ قال كذا وكذا<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر ٩٠/١.

(٢) مثال ذلك: حدّثنا مالكٌ عن نافع، عن ابنِ عمرَ أنّ النبي ﷺ قال كذا وكذا.. فمالك ونافع وابن عمر رضي الله عنهم = هم سلسلة الرّجالِ الموصلة إلى المتن.

## ثانياً: المتن

لغةً: ما صلب وارتفع من الأرض؛ لأنه يقوي ويرتفع بالسند إلى قائله. والمتن من كل شيء ما صلب ظهره.

والمتين: الشديد القوي، ومنه اسم الله (المتين).

وقد يكون من المماننة وهي المباعدة في الغاية،

أو من قولهم: متنت الكباش؛ إذا شقت جلد بيضته فاستخرجتها.

وإصطلاحاً: ألفاظ الحديث. أو نص الحديث.

أو ما ينتهي إليه غاية السند من الكلام<sup>(١)</sup>.

أو ألفاظ الحديث التي تتقوم بها المعاني<sup>(٢)</sup>. قاله الطيبي<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر المقنع لابن الملقن ١١١/١ ، مقدمة تدريب الراوي للسيوطي ٢٣/١.

وهذا التعريف أعم وأشمل وأدل على المطلوب.

(٢) أي: الكلام الذي يُذكر بعد سلسلة الرجال، هو قول النبي ﷺ أو قول

الصحابي. وهو-المتن-يشمل القول والفعل والتقريب والصفة.

(٣) انظر تدريب الراوي للسيوطي ٤٢ / ١.

## تدوين الحديث

لقد أخذ تدوين الحديث أطوارًا بالنسبة لجمعه، وكيفية المجموع منه، وذلك من العصر النبويّ إلى آخر عصر الرواية في حدود الثلاثمائة. وهذه هي أطوار تدوينه:-

### أولاً: التدوين الفرديّ للحديث:

وقد بدأ هذا التدوين منذ عصر النبيّ ﷺ واستمرّ إلى آخر المائة الأولى؛ ليشمل عصر الصحابة وكبار التابعين.

وكان تدوين الحديث في هذا الطور علي شكل صحيف خاصة مستقلة غير مرتبة كما قال الإمام الذهبي<sup>(١)</sup>.

وأهم الصحف في هذا الطور هي: الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص<sup>(٢)</sup>، وصحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري<sup>(٣)</sup> وهي في مناسك الحج<sup>(٣)</sup>، وصحيفة قائم سيف رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، وكتاب الصدقات والديات

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦١.

(٢) انظر تقييد العلم ص ٨٤، وجامع بيان العلم ٧٣/١.

(٣) انظر مشاهير علماء الأمصار ص ١١، وتذكرة الحفاظ ٤٣/١.

(٤) انظر جامع بيان العلم لابن عبد البر ٧١/١.

والفرائض، كتبه رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن<sup>(١)</sup>، وكتاب "الصدقات ومقاديرها" وكان عند أبي بكر رضي الله عنه، وكان قد كتبه إلى أنس بن مالك رضي الله عنه لما وجهه إلى البحرين عاملاً<sup>(٢)</sup>، الصحيفة الصحيحة التي يرويها همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه من حديثه<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً : التدوين الرسمي :

وكان ذلك في عصر أواسط التابعين، حيث أمر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بتدوين السنة تدويناً عاماً. حيث كتب عمر بن عبد العزيز بذلك إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية<sup>(٤)</sup>، فاستجاب العلماء لأمره، وقام كل واحد منهم بتدوين ما عنده من السنة .

(١) انظر سبل السلام للصنعاني ١٠٥/١ .

(٢) انظر نيل الأوطار ١٤٣/٣ .

(٣) وتضم هذه الصحيفة (١٣٨) حديثاً، رواها الإمام أحمد في مسنده، وقد طبعت بتحقيق / محمد حميد الله.

(٤) انظر تقييد العلم ص ٤٥ .

وكان أول مَنْ دونها: محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ  
[ت ١٢٤هـ] حيثُ قالَ : " أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع  
السنن فكتبناها دفترًا دفترًا ، فبعث إلي كل أرض له عليها  
سلطان دفترًا"<sup>(١)</sup>.

ثمَّ جدَّ العلماءُ في تدوينها في كثيرٍ مِنَ الأمصارِ.

ولكنَّ التدوين في هذا الطور لم يكن مستوعبًا، لأنَّ  
المنية عاجلت عمر بن عبد العزيز دون تحقيق ما أراد أو  
إكماله .

<sup>(١)</sup> يُنظر جامع بيان العلم ٧٦/١ .

وقال بعضهم : إنّ أول مَنْ دون السنة أبو بكر بن محمد بن عمر ابن حزم،  
حيث كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز علي المدينة، فأرسل إليه : " أن اكتب  
إليّ ما يثبت عندك من حديثِ رسول الله ﷺ وبحديث عمرة بنت عبد  
الرحمن ؛ فإني خشيت دورس العلم وذهابه "، فكتبه له.

[انظر سنن الدارمي ١٢٦/١، وطبقات ابن سعد ١٤٣/٢].

ويمكن الجمع بين الرأيين فيقال : أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز قد أرسل  
إليهما جميعًا لكنَّ المنية اخترمته قبل أن يري الكتب التي جمعها أبو بكر.  
[انظر قواعد التحديث للقاسمي ص ٤٧، والرسالة المستطرفة ص ٣، ٤].

ثالثاً: التصنيف العلمي لكتب الحديث :

والتصنيف يختلف عن التدوين الذي سبق في الطورين السابقين؛ إذ التدوين = هو تقييد المتفرق المشتت وجمعه في ديوان أو كتابٍ تُجمع فيه الصحف.

أمّا التصنيف = فهو أدقُّ من التدوين؛ إذ هو ترتيب ما دُوِّنَ في فصولٍ محدودةٍ وأبوابٍ مميزةٍ.

وقد مرَّ التصنيفُ في الحديث بعدة مراحل :

- الأولى : وكانت في أواخر عصر التابعين، ومعهم كبار أتباع التابعين.

حيث ظهر في هذا العصر المبكر أنواعٌ من المصنفات الجامعة، أطلق علي بعضها اسم "المصنف" كمصنف شعبة بن الحجاج، ومصنف الليث بن سعد، وعلي بعضها الآخر اسم الجامع، كجامع معمر بن راشد، وعلي البعض الآخر اسم "الموطأ" كموطأ ابن أبي ذئب، وموطأ مالك بن أنس.

ولم تكن هذه المصنفات قاصرة علي حديث رسول الله ﷺ، بل ضمت إلي ذلك أقوال الصحابة وفتاوي التابعين.

- الثانية : وكانت في عصر أتباع التابعين.  
وفي ذلك العصر أَلَّفَ العلماءُ المسانيدَ، وقصدوا منْ  
تدوينها جمع السنة فقط، خالصة منْ أقوال الصحابة  
والتابعين وفتاويهم.

وأول مَنْ أَلَّفَ تلك المسانيد أبو داود الطيالسي، وعبيد  
الله بن موسى العبسيّ، وعلي بن موسى المدنيّ.  
ثمَّ جاء منْ بعدهم ابن راهويه، وأحمد بن حنبل، وعثمان  
بن أبي شيبة.

- الثالثة : وكانت في عصر أتباع أتباع التابعين ممن  
عاصر البخاريّ.

وفي ذلك العصر ازدهر تدوين السنة، فدونت السنة  
الصحيحة ورتبت علي الأبواب.

وكانت ثمرة التدوين في هذا العصر ظهور الكتب الستة :  
صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، والترمذي،  
والنسائي، وابن ماجه.

- الرابعة : عصر المتأخرين من الرواية.

وفيه رُتبت كتبُ المتقدمين وهذبت وشرحت  
واختصرت .

وَمِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ فِي هَذَا الْعَصْرِ مَا يُعْرَفُ بِالْجَوَامِعِ، كَالْجَمْعِ  
بَيْنَ الصَّحِيحِينَ لِلْحَمِيدِيِّ، وَجَامِعِ الْأَصُولِ لِابْنِ الْأَثِيرِ،  
وَجَمْعِ الْجَوَامِعِ لِلْسَيُوطِيِّ، وَمِنْهَا مَا يُعْرَفُ بِالزَّوَائِدِ كَكُتُبِ  
نُورِ الدِّينِ الْهَيْثَمِيِّ، وَمِنْهَا كِتَابُهُ "مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ  
الْفَوَائِدِ"، وَمِنْهَا مَا يُعْرَفُ بِالْأَطْرَافِ، كَأَطْرَافِ الصَّحِيحِينَ  
لِأَبِي مَسْعُودِ الدَّمَشْقِيِّ، وَتَحْفَةِ الْأَشْرَافِ لِلْمَزِينِيِّ<sup>(١)</sup>.

وفي مناهج المحدثين تفصيلاً لكل طورٍ مِنَ الْأَطْوَارِ.

(١) للتوسع يُنظر كتاب تدوين السنة للدكتور / محمد بن مطر الزهراني،  
وكتاب المبتكر للشيخ / عبد الوهاب عبد اللطيف .

## ضبط الحديث<sup>(١)</sup>

لقد حرص المسلمون علي حفظِ الحديث ونقله وضبطه منذ الصدر الأول.

وَكَانَ ذَلِكَ وَفُقِ قَوَاعِدَ عِلْمِيَّةٍ دَقِيقَةٍ اسْتَنْبَطُوهَا بِعَقُولِهِمْ، ثُمَّ دُونُوهَا فِي صَحَائِفِهِمْ، وَتَعَامَلُوا مَعَ النُّصُوصِ مِنْ خِلَالِهَا. وَلَمْ يَتْرِكِ الْعُلَمَاءُ شَيْئًا يَتَعَلَّقُ بِالْحَدِيثِ إِلَّا بَيْنُوهُ وَدُونُوهُ.

وقد استنَّ المحدثونَ للكتابةِ آدابًا تُحَقِّقُ الضَّبْطَ الكَامِلَ لما يُكْتَبُ فِي الصَّحِيفِ، وَتَكْفُلُ سَلَامَةَ النُّصُوصِ، وَوَضَعُوا لِذَلِكَ قَوَاعِدَ وَأَصُولًا سَارُوا عَلَيْهَا وَأَلْزَمُوا الْكُتَّابَ بِاتِّبَاعِهَا، وَمِنْهَا:

- الاهتمام بضبط الحديث وتحقيقه شكلاً ونطقاً يؤمن معها اللبس عند الأداء؛ ليؤديه كما سمعه ولا يعتمد علي حفظه ويقظته فذلك وخيم العاقبة؛ فإنَّ الإنسانَ معرض للخطأ والنسيان.

(١) انظر سلسلة الموسوعات الإسلامية .. موسوعة علوم الحديث الشريف - إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، ص ٥٨٥ .. بتصرف.

- العناية بضبط الأسماء خاصة الملتبس منها، لأنَّ الأسماء لا تُدرك بالمعني ولا يدخلها القياس، ولا يُستدل عليها من سياق الكلام.

- صرف العناية إلي ضبط الحروف المهملة بعلامة تدل علي عدم نقطها، وقد وضعوا لذلك اصطلاحات خاصة بذلك تعرف في كتبهم، وتؤكد تحرزهم الشديد واحتياطهم في نقل النصوص.

- ضبط الألفاظ المشككة في متن الكتاب مع كتابتها في الحاشية وضبطها؛ فإنَّ ذلك أبلغ وأحوط لسلامة النص.

- الاعتناء بضبط مختلف الروايات وتمييزها، فيجعل كتابه علي رواية معينة، ثمَّ ما كان في غيرها من زيادات ألحقها في الحاشية.

- تحقيق الخطِّ وتوضيحه وترك السرعة في الكتابة وعدم تدقيق الحروف وتصغيرها.

- مقابلة الكتاب بالأصل الذي أسمعهم منه الشيخ؛ حتي يتحقق من سلامة النص ويُصلح ما وقع عنده من خطأ.

- وضع دائرة فارغة تفصل بين كل حديثين أو بين كل فقرتين حتى لا يختلط الكلام بعضه ببعض.

- المحافظة علي ذكر الشاء علي الله ﷻ كَمَا ذُكِرَ، فيقول ﷻ ونحوه، وإن لم يكن في الأصل، والمحافظة علي كتابة الصلاة والتسليم علي رسول الله ﷺ عند ذكره كل مرة، ولا يرمز إليه ولا يقتصر علي ذكر الصلاة دون التسليم عليه، والترضي والترحم علي الصحابة والعلماء وسائر الأخيار.

- وضع الرموز للألفاظ المتكررة في الإسناد، فيرمزون إلي حدثنا فيقولون "ثنا"، وإلي أخبرنا فيقولون "أنا" ويكتبون للتحويل من إسنادٍ لآخر حرف الحاء المهملة "ح"، ولهم غير ذلك من القواعد التي وضعوها للحفاظ علي سلامة النص، حتي إنهم أفردوا ذلك بمؤلفات خاصة، كالكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، والإمام في أصول الرواية، وتقييد السماع للقاضي عياض، وغيرها.

## ضوابط نقل الحديث من المصادر

انتهى عصر الرواية، واستقرت الأحاديث بأسانيدھا في بطون الكتب، والواجب علي مَنْ أرادَ أَنْ ينقل حديثًا مِنْ المصادر المعتمدة للإحتجاج به أَنْ يحرص علي :-

أ- صحة نسبتها إلي مؤلفيها بالتواتر، أو الشهرة التي تغني عن الإسناد، كالكتب الستة وغيرها .

ب- أَنْ يأخذ من نسخة موثوق بصحتها.

فمتي تحقق هذان الشرطان ؛ جازَ لَهُ أَنْ يروي الحديث ويحتج به وينسبه إلي قائله.

والصحيح أَنَّهُ لا يُشترط أَنْ تكون لَهُ رواية للحديث ولا سند متصل إلي صاحب الحديث أو إلي مؤلف الكتب المدونة .

وَحُكِّيَ عن بعض العلماء أَنَّهُ لا يحل الجزم بنقل الحديث من المصادر الأصلية إلا لِمَنْ له رواية ولو علي أقل وجوه الروايات.

والصحيح خلاف ذلك، وأنَّ العمل بالحديث ونقله من المصادر لا يتوقف علي سماعه، بل إذا صحت عنده النسخة وتأكد من نسبتها لمؤلفها؛ جاز له الرواية منها، والعمل بها، وإن لم يسمع الحديث، لأنَّ الثقة قد حصلت بها كما تحصل بالرواية، ولذلك اعتمد النَّاسُ علي الكتب المشهورة في النحو واللغة والطب وسائر العلوم لحصول الثقة بها وبُعد التدليس، ومَنْ زعمَ أنَّ النَّاس اتفقوا علي الخطأ في ذلك؛ فهو أولي بالخطأ منهم، ولولا جواز الاعتماد علي ذلك لتعطل كثير من المصالح المتعلقة بها<sup>(١)</sup>.

(١) للاستزادة ينظر فتح المغيث للسخاوي ١/٢٧٣، وتدريب الراوي ١/١٥٢، وتوجيه النظر ٢/٧٦٢.

# المبحث الثاني

## الفرق بين أسلوببي

## القرآن والحديث .

من أبرز مظاهر إعجاز القرآن الكريم؛ ما يمتاز به من جلال الربوبية في آياته، أمّا الحديث الشريف فإنه مهما كان مُشرقاً بنور النبوة، ومهما كان ذلك متجلياً في أسلوبه وخطابه؛ يظل مصطبغاً بالطبيعة البشرية، وخاضعاً لانعكاسات المشاعر الإنسانية.

وهذه الصفة التي تشيع في حديثه صلى الله عليه وسلم تجعله يخضع مع كلام غيره من الناس لقدرٍ مشتركٍ من السيماء والانطباع، مهما ارتقى حديثه صلى الله عليه وسلم فوق كلام الآخرين في الفصاحة والبيان.

ومثال ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّكُمْ تَحْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

نُلاحظ في هذا الحديث الشريف أنّ المعنى يدور حول محورٍ واضحٍ وهو تأكيد الطبيعة البشرية التي يتصف بها

(١) رواه البخاري ٢٥/٩ (٦٩٦٧)، ومسلم ١٢٨/٥ (٤٥٧٠) وهذا لفظ مسلم.

النبي ﷺ مهما سمت درجته وارتفع قدره عند الله تعالى، فهو ﷺ إن حكم بين الخصوم فاعتماداً منه علي البيّنات والقرائن الملموسة، لا علي غيبٍ يطلع عليه أو شعورٍ يخترُ إلي أعماق قلبه، ومن أجل ذلك لا يمكن أن يتحول الباطل إلي حقٍ وإن قضي به هو اعتماداً علي ظواهر الأدلة والبيّنات، ولا يتحول الحق إلي باطل وإن ظنّه هو باطلاً وقضي بأنّه باطل.

وكما تلمس هذا الطابع من خلال معني الحديث، فإنك تلمس هذا الطابع ذاته في أسلوبه ﷺ أيضاً؛ انظر إلي ضمير المتكلم وهو يتكرر في نسق الحديث، وانظر إلي جملة "فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ" تلاحظ أن المشاعر البشرية تكمن وراء الصياغة والأسلوب.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ [لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَى ضَامِنٍ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ

أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ  
أَوْ غَنِيمَةٍ<sup>(١)</sup>.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ  
مِسْكٌ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا  
قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لَا  
أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ  
يَتَخَلَّفُوا عَنِّي.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَعْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَعْزُو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَعْزُو فَأُقْتَلُ<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا الحديث أيضاً تلمس الحقيقة التي قررناها، من  
خلال كل من الأسلوب والمحتوي.

(١) ما بين المعكوفتين [ ] حديث قدسي، والمستثنى منه في قوله: "إِلَّا جِهَادًا  
فِي سَبِيلِي" محذوف تقديره: إلا كونه جهادًا في سبيلي، "إِيمَانًا" معطوف علي  
"جهاد".

(٢) رواه الإمام مسلم ٣٣/٦ (٤٩٦٧).

انظر إلى صياغة القسم "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ" تجد طابع البشرية بل طابع العبودية لله فيه أتمّ ما يكون ظهوراً.

وانظر إلى المعنى المتمثل في قوله صلى الله عليه وسلم "لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ" تجد هذا الطابع ذاته بارزاً فيه، وأنت تعلم أنّ معنى التمثيل من أخص مستلزمات البشرية والضعف الانسانيّ بقطع النظر عن الصياغة التي يؤديه أو المضمون الذي يتعلق به.

فإذا تجاوزت الأسلوب إلى المعنى الذي يتضمنه؛ لاحظت فيه هذا الطابع ذاته، فإنّ أبرز ما فيه من المعاني إنّما يدور حول ما يتمناه النبي صلى الله عليه وسلم من أن يُتاح له الخروج علي رأس كل سرية، للقتال في سبيل الله، بل أن يتاح له أن يغزو ويستشهد مراتٍ متتالية، طمعاً في نيل ما يعلمه من الأجر العظيم الذي ادّخره الله تعالى للمقاتلين في سبيله.

وما جاء في الصحيحين عن عُرْوَةَ عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا

أَسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ مِنَ اللَّهِ».

ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث يكشف لنا عن ثلاثة مشاهد كل منها مظهر بارز للطبيعة البشرية التي تنهض عليها حقيقة النبوة.

المشهد الأول غضب رسول الله ﷺ من سعي أسامة رضي الله عنه بالوساطة لديه أن يشفع للمرأة السارقة، والروايات المفصلة تشرح المزيد من غضب رسول الله ﷺ من هذه الوساطة.

وتجد هذا المشهد في الاستفهام الانكاري، الذي قابل به النبي ﷺ رجاء أسامة، ثم في إصراره إلى المنبر ودعوة الناس إلى المسجد وتحذيرهم من هذه البادرة الخطيرة.

(١) رواه البخاري ١٧٥/٤ (٣٤٧٥)، ومسلم ١١٤/٥ (٤٥٠٥).

والمشهد الثاني استشارة عبدة التاريخ وأسباب هلاك الأمم، والاعتماد عليها في التحذير من الإقدام علي مثل هذا العمل، وهي شأن مَنْ يخضع بشكل قسريّ لنظام الحياة وسنن الكون ولا يسعه أن يستعلي فوقها أو يتحرر من سلطانها، بل هو دائر في فلکها ومتصل بسيرتها وقانونها.

والمشهد الثالث تلك الكلمات التي جسد فيها النبي ﷺ أعلي درجة من درجات الخضوع لحكم الله وشرعه، وهي قوله: " وَائِمُّ اللّٰهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "؛ فإنك تلاحظ في هذا التعبير قمة الانقياد الإنسانيّ لحكم الله تعالى وتشريع، ومن ثمّ فإنك لتلاحظ فيه المعني البشريّ في حياة النبي ﷺ بما يستتبعه من عاطفة الأب تجاه أولاده ومغالبة النفس أمام السعي لتنفيذ أمر الله تعالى.

وروي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللّٰهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا».

قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!؟

قَالَ: « أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ ».

فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ: « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ<sup>(١)</sup> بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهْمٍ<sup>(٢)</sup> بِهِمْ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ ».

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لِيَذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أَنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا<sup>(٣)</sup> ».

ففي هذا الحديث الشريف تزداد هذه الحقيقة ظهوراً وتكاملاً، ففي الفقرة الأولى منه وهي قوله: " السَّلَامُ

(١) الخيول الغراء التي لها بياض في جبينها، والمحجلة هي التي تمتاز ببياض في أقدامها.

(٢) الدهم البهم الشديدة السواد.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ١٥٠/١ (٦٠٧).

عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ  
" ؛ يتجلى القدر المشترك بين النبي ﷺ وسائر الناس، وهو  
الخضوع لسلطان الموت وحكمه، وذلك مِنْ أخصّ سمات  
البشرية ومستلزماتها.

وفي الفقرة الثانية وهي قوله : " وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتَنَا  
إِخْوَانًا " يتجلى جانب آخر من الطبيعة البشرية في كيانه  
ﷺ ، وهو الجانب العاطفي الذي يتمثل في اشتياقه ﷺ إلى  
أن يري أولئك الذين سيأتون من بعده يؤمنون برسالته  
ونبوته، ويقتفون أثره ويستنون بسنته.

وانظر إلى التعبير بقوله : " إِخْوَانًا " كم يحمل من  
مشاعر التشوق في القلب، وإشارة الوحدة في الجنس،  
وحوافز الثبات علي النهج.

وأحاديثُ رسولِ الله ﷺ كلها سائرة علي هذا المنوال  
مغموسة بالطبيعة البشرية.

لذا فأخص سمات الحديث النبوي - لدي المقارنة بينه  
وبين القرآن - أنه مطبوع بالطابع البشري، وأن نبض  
المشاعر الانسانية يظل ساريًا فيه.

والقرآن الكريم خالٍ عن هذا كله، فأنت لا تقع في آية من آياته، علي نبضة من نبضات الضعف البشريّ أو علي أي معني مما من شأنه أن ينعكس من المشاعر البشرية، بل هو مطبوع دائماً بجلال الربوبية ورهبة الألوهية.

كذلك فإنّ موقع الحديث النبوي من القرآن الكريم موقع الشرح من المتن؛ حيث يعتمد الحديث في أسلوبه علي تفصيل ما أجمله القرآن، وإيضاح ما أبهمه، وتقييد ما أطلقه.

فالقرآن إنّما يُعالج كليات المسائل والأحكام، ثمّ تأتي السنة المطهرة لتطبق كلياتها العامة علي الوقائع والجزئيات، ولتفسرها علي ضوء التفاصيل والصور المختلفة مذيّلة بشروطها وقيودها التي كانت مطويّةً في جوامع كلم القرآن.

فمعاني الحديث الشريف لا تأتي مجردةً مطلقة، بل من شأنها دائماً أن تكون وثيقة الصلة بقيود الزمان والمكان والأشخاص والأحوال.

فهي لذلك تأتي ممزوجة بطابع البيئة والتقاليد والأعراف، بقطع النظر عن موقفها من هذه الأعراف موافقةً أو رفضاً.

فجميع الأحاديث المروية عن سيدنا رسول الله ﷺ إنما هي حصيلة أقوالٍ أو تصرفاتٍ انبثقت من حوارهِ مع أصحابهِ، أو أسئلةٍ طُرحت عليه، أو وقائعٍ وأسفارٍ وغزواتٍ قام بها في حياته، فكان لا بُدَّ أن ينعكس إليها - في نطاق كل من الأسلوب والمضمون - ذيول السائلين، وقيود الأحوال، ولون الظروف والوقائع وإطارات الحوادث والأسباب .

وكل ذلك من شأنه أن يَنزِلَ من عمومات القرآن وكتباته منزلة الشرح والبيان والتطبيق.

لكنَّ القرآن قد تنزَّلَ مطلقًا مجردًا عن صبغة الزمان والمكان التي من شأنها أن تعطيه طابع البيئة، وعن قيود الأشخاص والأسماء التي من شأنها أن تحصره في أمّةٍ بعينها أو لقومٍ بخصوصهم.

فجاء بذلك متحررًا من طابع البيئة، مطلقًا عن قيود أمة أو قومٍ بخصوصهم.

فمن أبرز سمات الحديث الشريف - كما قررنا - أنه وثيق الصلة بعنصر الزمان والمكان، والأشخاص والأحوال والأحداث.

وأنه تفصيلٌ لمجمل القرآن، وشرحٌ لمبهماتِه، وحلٌّ لمشكلاتِه.

وقد نصَّ القرآن الكريم علي هذه الخصيصة للحديث، وذلك في قول ربنا ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل/٤٤].

كذلك فإنَّ الحديث الشريف نثرٌ كبقية النثر، مرسلٌ في أغلب الأحيان عن السجع ونحوه، له شبهٌ كبير بنثر العرب من الصحابة وغيرهم، حتَّى إنَّه قد يلتبس بفصولٍ من كلام الآخرين لولا ضوابط الرواية وعناية الحفاظ، ولكن له رُواءٌ وإشراقاً لا تجدهما في غيره.

وحديثه ﷺ وإن كان أعذبَ حديثٍ عربيٍّ بعد القرآن وألصقه بمجامع القلوب، لا يشترك مع القرآن في كونه يسير علي علي مستوي واحدٍ من السمو البياني، رغم اختلاف مواضيعه وأبحاثه.

وجملة القول في الفرق بين القرآن والحديث؛

أنَّ شيئاً من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم لا يتجلى  
في الحديث، علي الرغم ممَّا يتسم به من علو وإشراق وسمو  
بيان<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر كتاب " في الحديث الشريف والبلاغة النبوية " للدكتور / محمد  
سعيد رمضان البوطي، ص ٣٢ : ٤٣ ( بتصرف ).

# المبحث الثالث

## توصيف الحديث

### النبوي

أقوال النبي ﷺ تنقسم - كما ينقسم كل كلام - إلى خبر وإنشاء (وهو الطلب).

وأخبار النبي ﷺ قد تكون عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ﷻ ( ويدخل في ذلك الحديث القدسي؛ لأنه خبر عن الله ﷻ ) وقد تكون عن عالم الغيب كالملائكة، والجن، والعرش، والكرسي، ونحوها مما لا يدخل تحت دائرة الإدراك الحسي والعلم البشري. ومن ذلك ما يُذكر عن الحياة البرزخية (أي ما بعد الموت)، وعن الدار الآخرة، وما فيها من أهوالٍ وأحوالٍ، وثوابٍ وعقابٍ، وجنةٍ ونارٍ. (كإخباره عن سؤال القبرٍ ونعيمه وعذابه، وعن البعث، والحشر، والموقف، والشفاعة، والحساب، والميزان، والصراط، وألوان التعميم في الجنة، وأنواع العذاب في النار).

ومن أخباره ﷺ ما قصه علينا من سير الماضين من الأنبياء وأقوالهم، والصالحين وأحوالهم.

(١) المدخل لدراسة السنة النبوية، للشيخ د. يوسف القرضاوي، ص ١٣ : ٢١ (بتصرف).

وَيَدْخُلُ فِي أَخْبَارِهِ ﷺ مَا يَذْكُرُهُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ مِمَّا أُظْلِعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ ﷺ لَا يَعْلَمُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا مَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِ<sup>(١)</sup>، سواء أكان مما يقع لأمته ﷺ، أم للناس كافة، وسواء أكان مما يسوء أم مما يسر، فهو نذيرٌ وبشيرٌ لقومٍ يؤمنون، ويشمل ذلك ما أُطلق عليه "أحاديث الفتن، وأحداث الساعة". وقد وقع كثيرٌ مما أخبر به ﷺ من أحداث المستقبل، بعضها وقع في عهد الصحابة، وبعضها وقع بعد ذلك بقرون، وبعضها لا يزال يقع اليوم، نراه بأعيننا، ونلمسه بأيدينا، وبعضها لا يزال مُنتظرًا.

كذا مما يدخل في دائرة الخبر من أقواله ﷺ ما يذكره ﷺ لبيان حقائق الأشياء والمفاهيم والأعمال، وبيان قيمها ومراتبها، وما فيها من ثوابٍ أو عقاب.

وفي هذه الأخبار ما يتضمن توجيهات دينية، وإرشادات أخلاقية، وترغيبًا في الخير وطاعة الله، وترهيبًا من الشر ومعصية الله تعالى.

(١) قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن/٢٦، ٢٧].

والإنشاء - بمعنى الطلب - من أقواله صلى الله عليه وسلم .

وهو يشمل: الأمر، والنهي، والدعاء، وما في معناها.

أمَّا الأمر؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: ( اتَّقَ ، أَتَّبِعْ ، خَالِقِ ، صَلِّوا ، صوموا ، خذوا ، دع ).

والنهي؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: ( إياكم والظن ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تدابروا ).

وأمَّا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وابتهالاته فهما أبرز ما يمكن أن يعبر عنه بجوامع الكلم .

وإنَّكَ لتجدها جملاً قصيرةً تفيض بمعانٍ غزيرة، لا تتبين فيها شيئاً من الصنعة أو التكلّف.

فدعاء النبي صلى الله عليه وسلم سبك بليغ مرسل عن التكاليف التزيينية والتقعرات اللفظية التي تراها في سائر كلام العرب المنثور في عصره صلى الله عليه وسلم .

وأغلبه جملٌ مختصرة جامعة يفيض كل منها بذخر من المعاني والمشاعر والأفكار<sup>(١)</sup>.

وما في معناها؛ كقوله ﷺ «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»<sup>(٢)</sup>.

فهذه الاستعاذة ونحوها، خبرٌ في صورتها، إنشاء في معناها؛ لأنها تتضمن طلباً من الله بإعادته مما يكره.

وقد يتضمن الحديث الواحد: الخبر والطلب، أمراً ونهياً.

كقوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي

(١) كما في صحيح مسلم (٤٨٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

(٢) رواه الإمام مسلم (٢٧٠٩).

فَعَلْتُ كَانَ كَذًا وَكَذًا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ،  
فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

وأحاديث النبي ﷺ القولية منها القصير الموجز الذي يتكون من جملة واحدة ( الحِكْم، أو جوامع الكلم ) فهي مقاطع صغيرة من الكلا متسعة لمعان كلية جامعة، تنبسط علي جزئيات وأحداث كثيرة، في صياغة متينة من التعبير المشرق الأخاذ، وقد عدّها النبي الكريم ﷺ ضمن المزايا والمنن التي أكرمه الله بها،

ومنها الطويل الذي قد يستغرق صفحات كحديثه ﷺ عمّا كان أو ما يكون، من قصص الأولين، أو أحوال القيامة، أو رؤيا رآها.

وأحاديثه ﷺ قد تكون ابتداءً بياناً منه ﷺ؛ لتعليم النَّاس ما يجب أن يعرفوه من دينهم، كقوله ﷺ ( ألا أنبئكم؟! )، ( ألا أدلكم؟! ) .

ومن ذلك خُطبه ﷺ في الجُمع والأعياد.

(١) رواه الإمام مسلم (٢٦٦٤).

وقد تصدر هذه الأحاديث جوابًا عن سؤالٍ، كحديث جبريل المشهور<sup>(١)</sup>.

ويدخل في هذا الأحاديث الكثيرة التي تتضمن بيان الأحكام وتفصيلات ما أجمله القرآن من المسائل الشرعية المختلفة.

وقد تصدر عنه تعليقًا على شيءٍ رآه أو قول سمعه أو سمع عنه .

والأحاديث القولية تمثل في الواقع جمهرة السنة، وعليها مدار التشريع، وفيها يتجلى البيان النبوي، وتمثل البلاغة المحمدية بأجلى صورها، وفيها جوامع الكلم التي خصَّ الله بها خاتم رسله ﷺ ويُرادُّ بها الأحاديث التي جمعت في ألفاظ قليلة معاني جمّة.

<sup>١</sup> مروى في صحيح مسلم (٨).

شبهة مفتراه :

وقد زعمَ بعض المتطاولين في عصرنا أنه لا يُقبل إلا السنة الفعلية فحسب. أمّا الأحاديث القولية فهو يردّها.

والحق أنّ من قال ذلك إنما يعلن بوضوح رفضه للسنة كلها، إذ أنّ السنة الفعلية لا تمثل إلا جانباً يسيراً مما تضمنته دواوين السنة.

علي أنّ أفعاله صلى الله عليه وسلم بمجردّها لا تدل علي أكثر من جواز الفعل، أمّا استحبابه أو وجوبه فلا بُدّ من أن يدل عليه دليل من قوله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر كتاب "المدخل لدراسة السنة النبوية"، للدكتور / يوسف القرضاوي ، ص ٢٤ (بتصرف).

# المبحث الرابع

بلاغته الرسول  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

والأقوال النبوية التي صحت عنه صلى الله عليه وسلم طویلها وقصیرها تمثل ذروة البیان البشري، والبلاغة الإنسانية مبنيًا ومعنيًا، مضمونًا وشكلًا، فكرةً وأسلوبًا، فقد حوت من جوامع العلم وجواهر الحكم وحقائق المعرفة، وروائع التشريع، وبدائع التوجيه، وغرائب الأمثال، ونوادر التشبيه، ما لم يحوه كلام بليغ ولا حكيم، مع سهولة فائقة، وعذوبة رائعة، وحيوية بالغة، جعلت في الكلمات روحًا يسري، كما تسري العصارة في الأغصان الحية. وهي أجدر أن توصف بأنها تنزيل من التنزيل، وقبس من نور الذكر الحكيم، وهذا ما نوه به كبار الأدباء والبلغاء في مختلف العصور.

أ.د/ يوسف القرضاوي ..

في كتابه " المدخل لدراسة السنة النبوية " ص ٢١

يُعرّف علماء العربية البلاغة بقولهم : هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

أي أن يُصاغ الكلام علي نحوٍ يبلغ به المتكلم أقصى ما يُريد بيانه من المعنى للقلب والمشاعر، مستوحياً من طبيعة الحال وعقلية المخاطبين وظروفهم، بشرط أن يتوفر في نظم الكلام الاتساق وجمال اللفظ والتعبير.

فالبلاغة إذن وصفٌ لحالة معينة يجب أن تتوافر بين اللفظ والمعنى.

والفصاحة وصفٌ للكلمة والصيغة وأداة التعبير عموماً، بقطع النظر عن المدلول والمعنى.

والبلاغة أخص من الفصاحة؛ إذ إنك لا تستطيع أن تحكم علي نصٍ بالبلاغة إلا إذا كان قد توافر فيه جمال الصياغة وحسن اختيار الألفاظ، وعندئذ يُنظر: فإن بلغ به المتكلم أقصى ما يُراد بيانه من المعاني والمشاعر = فهو كلام بليغ، وإلا = فهو فصيح فقط .

فصاحة الكلام أعمُّ؛ فربَّ كلام يتصف بالفصاحة  
لجمال ألفاظه وحسن سبكه، ولكنه يتقاصر عن درجة  
البلاغة لعدم وفائه بالمعنى المطلوب.

وهكذا،

فإنَّ كل بليغٍ مِنَ الكلام = فصيحٌ بلا شك، ولكن ليس  
كُلُّ فصيحٍ مِنَ الكلام بليغًا.

ولعلَّ أجمع تعريف للبلاغة ما اعتمده الرُّماني مِنْ أنها -  
أي البلاغة - إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورةٍ مِنَ  
اللفظ.

ولتحقيق وصف البلاغة في الكلام سُبلاً وأصولاً كثيرة،  
ولكن مردها جميعاً - كما يقرر الشيخ عبد القاهر  
الجرجاني في كتابيه "أسرار البلاغة"، "دلائل الإعجاز" - إلى  
معرفة الكيفية التي يجب أن تُصاغ الجملة علي وفقها  
للولصول بها إلى شغاف المعنى وأعماق القصد؛ من تقديم  
وتأخير، وتنكيرٍ وتعريفٍ، وتقييدٍ وإطلاقٍ، وحصرٍ وتعميمٍ،  
واختصارٍ وإسهابٍ، ووصلٍ وفصلٍ، ثُمَّ مِنْ اختيارٍ أقرب  
الألفاظ المترادفة إلى حقيقة المعنى المطلوب. ذلكَ لأنَّ

الجملة الواحدة تُصاغ بعدة أشكالٍ، فيكون لكل شكلٍ منها معني خاص تدل عليه.

والبليغ = مَنْ يعرف لكل جملةٍ موضعها، ويستعملها حيث ينبغي .

ووجه الصعوبة في تحقيق معني البلاغة = أنّ مزية الكلمة لا تثبت لها دائماً، بل تظهر وتختفي حسب المقام وتنوع المعني ومدى اختلافه.

ومن هنا، كانت لبلاغة الكلام درجاتٍ كثيرة يتفاوت النَّاسُ فيها بين صاعدٍ وهابطٍ، إذ كل يتحقق بالقدر الذي امتدت إليه ملكته وثقافته العربيّة، ولكنها تصل في درجاتها العُليا إلى حدِّ الإعجازِ الذي يتقاصر عنه الجهد الإنسانيّ مهما استقامت الملكة واتسعت الثقافة حين الكلامُ عن البلاغة النبويّة .

والحديثُ عن البلاغة النبويّة إنّما هو التفاتٌ إلى نموذج سام فريد للكلام العربي البليغ.

فإننا إذا ما وضعنا القرآن جانباً، فإننا لا نشك في أنّ حديث رسول الله ﷺ يعتبر ذروة ما انتهى إليه كلام العرب

بلاغَةً وروعةً وإشراقاً؛ خلا من التكلف المسجوع والحوشي الثقيل - وهما آفة الكلام العربي في عصره - وتنزه عن الاختصار مع الحاجة، والتطويل بدون طائل.

وقلما سلم هذا الميزان باستقامة لغيره ﷺ.

فإنه ﷺ إذا شبه أو مثل التقط أقرب الأشياء وأطفها دون تعيير ولا تعقيد.

وإذا نصح أو أرشد صاغ نصائحها حكماً مرسلَةً في ألفاظٍ مضيئة كالنجم يبدو عليها جلال النبوة وأثر الإلهام وحلاوة الصدق.

ومع ذلك فهو يرسل أحاديثه فيض الخاطر وعبق البديهة وبذلت الوقت، دون سابق تحضيرٍ ولا تفكيرٍ<sup>(١)</sup>.

يقول الجاحظ ﷺ واصفاً حديث رسول الله ﷺ: " وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، وكان كما قال الله ﷻ: قل يا محمد: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾".

(١) يُنظر كتاب " في الحديث الشريف والبلاغة النبوية " ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٤٤ : ٤٨.

فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التعقيب،  
واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع  
القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن المهجين  
السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا  
بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق.

وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول  
وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام، وقلة  
عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع  
إلى معاودته.

لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة،  
ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب  
الطوال بالكلام القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما  
يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا  
بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز  
ولا يلمز، ولا يبطن ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر.

ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا ولا أقصد لفظًا  
ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا ولا أكرم مطلبًا، ولا

أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنىً ولا أبينَ  
فحوىً من كلامه ﷺ" (١).

ومعلومٌ أنَّه كان للعربِ في جاهليتهم نثرٌ لكنه لم يبلغ  
مبلغَ الشعرِ، في الرواية والانتشار، ولم يرتفع شأنه إلي  
معالجة الأحداث والمشكلات، والتعبير عن المقاصد  
والوجدان. إذ كان أول فخرهم بالشعر، لهذا كان الشعر أبقي  
علي الزمن وأشد التصاقًا برغبة الرواة والحافظين.

ومع ذلك فقد أحصي تاريخ الأدب العربي شيئًا من هذا  
النثر، وهو نزر يسير بالنسبة لما قد وعاه التاريخ من شعرهم.  
ذلك لأنَّ الرواة - كما يقول الزيات - لم يُعنوا من النثرِ  
علي كثرته إلا بما علقَ بالذهن لنفاسته وبلاغته وإيجازه،  
كالأمثال والحكم والوصايا (٢).

ولقد كان هذا النثر يسير في محتواه مع أخلاق البداوة  
وأعرافِ الجاهلية. ويسير في نهجه وأسلوبه مع ما قد عرف  
من قسوتها، فهو قوي اللفظ، ولكنه يتكئ علي كثير من

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١٤/٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن الزيات، ص ١٧.

حوشي القول، متين التركيب ولكنه علي الغالب سطحي  
الفكرة.

فلما بُعث ﷺ واستضاء غسق الجاهلية، أصبح للنثر بعد  
ذلك شأنٌ جديد، وارتقي شيوعه وامتدت روايته إلى مرتبة  
الشعر بل تزيد.

وإنما سببُ ذلك، الموقع الذي احتلَّهُ حديث رسول الله  
ﷺ بين سائر النثر العربيّ.

فلقد تحررت ألفاظ الحديث النبوي من حوشي القول  
ومُسْتَرْدَل التشبيه أو التركيب. فلم يتأثر في ذلك ﷺ بطبيعة  
البداءة وقسوة البيئة<sup>(١)</sup>.

(١) وقد استظهر الجاحظ ﷺ هذه المقارنة في كتابة البيان والتبيين (١٦/٢)  
عندما عرض لنا معنيّ جاء في الشعر العربيّ ثم جاء هو بذاته في الحديث  
النبوي، وقد اعتمد كل منهما علي تشبيه يُبرز الفارق الكبير بينهما في ذوق  
التعبير ولطف التشبيه ورقة الصياغة: حيث يقول الرسول ﷺ: " الناس  
كأسنان المشط، ليس لأحدهم فضل علي أحدٍ إلا بتقوي الله ".  
وقد جاء هذا المعني نفسه علي لسان الشاعر العربيّ عندما قال:  
سواء كأسنان الحمار فلا تري\*\* لذي شيبة منهم علي ناشيء فضلاً  
يقولُ الجاحظ: إذا حصّلت علي تشبيه الشاعر وحقيقته، وتشبيه النبي ﷺ  
وحقيقته؛ عرفت فضل ما بين الكلامين . اهـ

وكان للعرب في جاهليتهم حِكْمٌ تمتاز بتكلف التركيب وتقعّر الصناعة أكثر مما تمتاز بغزارة المعني واجتماع أطرافه.

ففي الحديث الشريف حِكْمٌ اجتمع فيها حُسن التأليف وسلاسة اللفظ مع غزارة المعني وتماسك أطرافه<sup>(١)</sup>.

كما أنّ الحديث الشريف ليس مجرد وعاء للحكمة، وصادق المعني؛ وإنما هو إلى ذلك ذيل لنور الكوكب القرآني، وامتدادٌ لهدي الوحي السماوي، فهو كلام مؤيّد من تنزيل رب العالمين.

<sup>(١)</sup> مثلاً: تقول الحكمة العربية: التوبة تمحو الحوبة!، ويقول الرسول ﷺ: "الإسلام يجب ما قبله"، ويقول أيضاً: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له". تأمل الفرق بين الحكمة العربية والحديث النبوي تجد في أولهما تكلف الصناعة وكّد الذهن في اختيار اللفظ، حتي إنها لتلفت النظر إلى ألفاظها وإلى تجاور الحاءين فيها أكثر مما تلفت النظر إلى مضمونها، والمعني الذي سيقّت من أجله.

وتجد الحكمة النبوية مطبوعة في ألفاظها بطابع السليقة، مسوقة وراء عفو خاطر، في صياغة محكمة من الألفاظ تيسر للذهن بلوغ شغاف المعني المراد من أيسر طريقٍ ولا تشتته عنه بين تعاريج الألفاظ، وصناعة التزويق والتأليف. [انظر في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، تأليف د/ محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٥١].

صاغ لسان النبوة ألفاظه، وتنزّل وحياً من السماء معناه.  
ولئن كان فيه الكثير من مما هو خالص فكر النبي ﷺ واجتهاده أو شعوره ووجدانه، فما كان الله ليدع شيئاً من الباطل أو اللغو يتسلل إلي فكره ووجدانه بعد أن اختاره سبيل وحيه إلي الأرض، وواسطة شرعه إلي الناس.  
بينما كان النثر العربي إذ ذاك ثمرة بيئة وأصداء أعراف وانعكاس بداوة.

وأنّ الحديث النبوي الشريف إنّما كان صدي لتعاليم كتاب الله وخُطّة رشيدٍ نحو تحقيق أسمى معاني الإنسانية المطلقة.

يقول الأستاذ الراجعي رحمه الله: " كان ﷺ على حد الكفاية في قدرته على الوضع، والشقيق من الألفاظ، وانتزاع المذاهب البيانية، حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تُسمع من العرب قبله، ولم تُوجد في متقدّم كلامها، وهي تعد من حسنات البيان لم يتفق لأحد مثلها في حسن بلاغتها، وقوة دلالتها،

وغرابة القريحة اللغوية في تأليفها وتنضيدها، وكلها قد صار مثلاً، وأصبح ميراثاً خالداً في البيان العربي" (١).

وقد كان كلامه ﷺ يتسم بالمرونة واختلاف التعبير والأسلوب كلما اقتضى الأمر ذلك، وليس المقصود اختلاف الأسلوب والتعبير إيجازاً وتطويلاً، أو شدةً وليناً، أو نحو ذلك، فهو أمرٌ لا مزية فيه لأحدٍ من الفصحاء علي آخر، إذ تعتبر مرونة التعبير بهذا المعنى أدنى قدر مشترك لشرط البلاغة والبيان، وإنما نعني أنه ﷺ كان يُخاطب كل وفدٍ من وفود العرب بما لديهم من الكلمات والتعابير الخاصة بهم، وكان يأتي من ذلك بما لا يُحسّنه أحد من العرب غيره، إذ كان لسان كل منهم متمكناً من اللغة التي نشأ عليها، واللهجة التي استقام لسانه وفقاً لها، أمّا ما وراء ذلك فلم يكن لأحدٍ منهم في ذلك باعٌ يُذكر.

بل كان ﷺ يُرسل إلي هذه الوفود بكتبٍ مختلفة اللغة واللهجة، يخاطبهم فيها بلحونهم، وبألفاظهم المتداولة

(١) ينظر تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، ٢٠٦/٢.

عندهم والخاصة بهم مما لم يكن ليأتلف مع طبيعة اللغة القرشية، ومما لم يكن للقرشيين ممارسة له أو دراية به. لهذه الأمور كلها كان لحديث رسول الله ﷺ موقعاً متميزاً رفيعاً بين النثر العربي.

ولقد كان له تأثيره العميق في تطور النثر وخلوصه منكدورة البداوة وجلافة الطبع إلي ما انتهى إليه من صفاء الديباجة وحسن السبك.

وهذه المزايا في كلامه ﷺ لم تكن ثمرة نشأته القرشية ولا استرضاعه في بادية بني سعد، فإن هذين السببين يأتيان ببعض هذه المزايا لا كلها، إذ لا جرم أن من وراء الفطر وعامل النشأة شيئاً آخر هو الإلهام الإلهي الذي صاغ لسانه هذه الصياغة المرنة المتمرسه حتي يتهيأ له من ذلك إبلاغ رسالته وقصده إلي شتي القبائل واللهجات.

يقول الأستاذ الرافي : " ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا توفيقاً من الله وتوقيفاً، إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من أسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة؛ ثم هم مختلفون في ذلك على تفاوت ما

بين طبقاتهم في اللغات آداب العرب، فمنهم الفصيح والأفصح، ومنهم الجافي والمضطرب، ومنهم ذو اللوثة والخالص في منطقه، إلى ما كان من اشتراك اللغات وانفرادها بينهم، وتخصص بعض القبائل بأوضاع وصيغ مقصورة عليهم، لا يساهمهم فيها غيرهم من العرب، إلا من خالطهم أو دنا منهم دنو المأخذ.

فكان **ﷺ** يعلم كل ذلك على حقه؛ كأنما تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها؛ فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً، وأسدهم لفظاً، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لقد كانوا نقلوه وتحدثوا به واستفاض فيهم.

ومثل هذا لا يكون لرجلٍ من العرب إلا عن تعليم أو تلقين أو رواية عن أحياء العرب حياً بعد حيٍّ وقبيلاً بعد قبيل، حتى يفلي لغاتهم، ويتتبع مناطقهم، مستفرغاً في ذلك متوفراً عليه.

وقد علمنا أنه ﷺ لم يتهياً له شيء مما وصفنا، ولا تهيأ لأحدٍ من سائر قومه على ذلك الوجه<sup>(١)</sup> علماً ليس بالظن، وبقيناً لا مساع للشبهة فيه؛ إذ ترادفت به طرق الأخبار المتواترة، وكان مصداقه من أحوال العرب أنفسهم؛ فمأ عرف أن أحداً منهم تقصص اللغات وحفظ ما بينها من فروق الأوضاع واختلاف الصيغ وأنواع الأبنية، واستقصى لذلك يستظهر به عليهم أو ينتحله فيهم؛ بل كانت هذه الأسباب مقطوعة منهم، لا تجد في الطبيعة ما يمتد بها، أو ينمىها، أو يجعل لها عندهم شأنًا، أو يبغيها حاجة من الحاجات الباعثة عليها؛ فليس إلا أن يكون ما خص به النبي ﷺ من ذلك قد كان توفيقًا وإلهامًا من الله، أو ما هذه سبيله، مما لا ننفذ في أسبابه، ولا نقضي فيه بالظن فقد علمه الله من أشياء كثيرة ما لم يكن يعلم؛ حتى لا يعيا

(١) يقول ﷺ في الهامش: "قلنا على ذلك الوجه؛ لأن قريشًا كانوا أهل تجارة، وكانوا يضربون في الأرض ولهم رحلة الشتاء والصيف، ثم كانت تتوافى إليهم قبائل العرب في الموسم وتختلط بهم في الأسواق، وخاصة في عكاظ، فلا بد أن يكون في ألسنتهم كثير من ألفاظ العرب، ولكن هذا غير ما نحن فيه. فإن رسول الله ﷺ كان يخاطب كل قوم بالغريب من لغتهم، وكان أصحابه لا يفهمون أكثر ذلك" اهـ.

بقومٍ إنَّ وردوا عليه، ولا يحصر إنَّ سأله، ولا يكون في كل قبيل إلا منهم؛ لتكون الحجة به أظهر، والبرهان على رسالته أوضح، وليعلم أنَّ ذلك له خاصة من دون العرب، فهو يفي بهم في هذه الخصلة البينة، كما يفي بهم في خصالٍ أخرى كثيرة" (١).

(١) يُنظر تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، ١٨٧/٢، ١٨٨.

## الفصل الثالث



# توجيهات وتحقيقات بلاغية في بعض الأحاديث النبوية.



①

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «تُنكحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِحَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَظَفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«الْمَرْأَةُ» "أل" هي أل الجنس، فالمراد بها أيّة امرأة كانت؛ لأنّ مدخول: "أل" التي للجنس في معنى النكرة.

«تُنكحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ» يأتي في الرجل أيضًا أن تختاره المرأة زوجًا لها هذه الأمور الأربع، وكما يُطلبُ مِنَ الرجلِ إيثار ذات الدين؛ يُطلبُ مِنَ المرأةِ إيثار ذي الدين، وإنما لم يُنص علي هذا في الحديث لأنه يُعلم منه بطريق القياس.

«لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِحَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا» آخرّ الدين عمّا قبله مع أنّه أفضل منه لأنّ أكثر النَّاسِ لا يرغب فيه، ويؤثّر عليه ما قبله. والحديث يُخبر عمّا يقع في هذا منهم، فرتبه علي وُفق رغباتهم فيه، وإنّ كَانَ لا يُقرُّهم عليه.

(١) متفقٌ عليه؛ أخرجه البخارى (٤١٧/٣)، ومسلم (١٧٥/٤).

فالحديث ذكر هذه المطالب متدرجًا مع نداء الرغبة والشهوة في نفوس النَّاس، حتى إذا وصل إلي آخر مطالبهم، وهو ما ينبغي أن يكون أولاً -لأنه أهمها- حثهم عليه في صيغة الأمر بالظفر، ووجههم إلي أهميته وحكمة الحصول عليه بقوله: «فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ؛ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»<sup>(١)</sup>.

«فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ» دلالة علي أنّ ذات الدين كنز؛ فبادر به قبل أن يتخاطفه منك الخاطفون.

«تَرَبَّتْ يَدَاكَ» هي جملة دعائية، لأنه يدعو عليه أن تلتصق يده بالتراب، فهي خبرية لفظًا إنشائية معني.

وقد يُقال كيف يدعو عليه بذلك وهو يأمره أن يظفر بصاحبة الدين!؟

فنقول: هذا الدعاء إمّا أن يكون مما جرت به العادة أن يجري علي اللسان ولا يقصد معناه. وإمّا أن يكون التقدير فيه: تربت يداك إن لم تظفر بذات الدين. ولهذا نجده **صَلِّوْا وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ** فصل «تَرَبَّتْ يَدَاكَ» عمّا قبلها مع اتفاقهما في الانشاء؛ لعدم وجود الجامع بينهما، والوصل للاتفاق في

(١) يُنظر: من توجيهات الرسول، تأليف أ.د/ أحمد عمر هاشم، ص ٣٦.

الخبرية أو الانشائية لا بُدَّ فيه من وجود الجامع بين  
الجملتين.

ويتبادر إلي الذهن سؤال آخر: هل أمره **صلى الله عليه وسلم** بذلك  
يمنع من طلب المرأة لما لها ولحسبها ولجمالها مع طلبها  
لدينها؟!!

والجواب: أنّ الحديث لا يمنع إلا ايثار ذات المال وذات  
الحسب وذات الجمال علي ذات الدين، فلا يُمنع طلب المرأة  
للدين والمال والحسب والجمال معاً، ولكن يجب أن يلتزم  
في هذا جانب الاعتدال، فلا يُغالي في طلب المال والحسب  
والجمال، لأنّ هذا قد يجره إلي إهمال جانب الدين في المرأة.

فإذا تحقق مطلب الدين في المرأة، فلا مانع أن يجتمع معه  
المال أو الجمال أو الحسب، أمّا مراعاة المال أو الجمال أو  
الحسب وحده دون الدين فهذا ما نهى عنه الإسلام.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رضي الله عنه**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
**صلى الله عليه وسلم**: «لَا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ  
يُرْدِيَهُنَّ وَلَا تَزَوَّجُوهُنَّ لِأَمْوَالِهِنَّ فَعَسَى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ

وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ، وَلَا مَمَّةً خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ  
أَفْضَلُ»<sup>(١)</sup>.

وقد رسم ديننا الحنيف الصورة المشرفة للزوجة المثالية في المجتمع الإسلامي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن خير النساء؟! فقال: «التي تطيع إذا أمر، وتسرى إذا نظر، وتحفظه في نفسها وماله»<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> رواه ابن ماجة في سننه ٦٣/٣ (١٨٥٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لضعف الإفريقي، وهو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، أبو كريب: هو محمد بن العلاء الهمداني، وعبد الرحمن المحاربي: هو ابن محمد، وعبد الله بن يزيد، هو أبو عبد الرحمن الحُبلي. وأخرجه سعيد بن منصور (٥٠٥)، وعبد بن حميد (٣٢٨)، والبخاري في "مسنده" (٢٤٣٨)، والبيهقي ٨٠/٧ من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، به.

<sup>(٢)</sup> رواه النسائي في السنن الكبرى ٣١٠/٥ (٨٩٦١). وفي لفظ: "خير النساء التي تسرى إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره" أخرجه أحمد ٢٥١/٢ (٧٤١٥)، والحاكم ١٧٥/٢ (٢٦٨٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي ٨٢/٧ (١٣٢٥٥)، والحكيم الترمذي ١٥٠/٢ وابن جرير الطبري في التفسير ٦٠/٥، والديلمي ١٨١/٢ (٢٩١٢). وفي رواية: "خير النساء من تسرى إذا أبصرت وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك" أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٢٧٣/٤ عن عبد الله بن سلام، وقال الهيثمي: فيه رزيك بن أبي رزيك ولم أعرفه وبقيته رجاله ثقات.

وقد أوضح الرسول ﷺ أنّ زواج ذات الدين نعمة يتم بها شطر الدين، فوجبَ علي مَنْ أتمَّ اللهُ عليه هذه النعمة أن يشكرَ ربه عليها، وأن يرعي حقَّ الله في استكمال الشطر الثاني بإخلاص العبادة فيه لما جاء عن أنس رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً، فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهُ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي»<sup>(١)</sup>.

فلا ينبغي أن يكونَ المال أو الجمال أو الحسب وجهة المسلم التي يقصدها من الزواج، فالمسلم يسمو بالزواج وحكمته بعيداً عن المادة.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ١٩١/٢ ( ٢٧٣٨ ) ، وقال الذهبي : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُحْرَجْهُ " .

②

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» <sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ» قال أهل اللغة: المعشر هم الطائفة الذين يشملهم وصف، وخصَّ الشباب بالنداء لأنَّهم في سنِّ الاقدام علي الزواج، وإنَّما يُقْصَدُ مِنَ الْحَدِيثِ ترغيبهم فيه، وهم الذين يوجه إليهم هذا الترغيب، أمَّا الشيوخ فقد تزوجوا فعلاً، فلا يتوجه إليهم النداء بالترغيب في الزواج، لأنَّه يندر فيهم غير المتزوج.

وَمَنْ يَكُونُ مِنْهُمْ لَا زَوْجَةَ لَهُ فَلَهُ شَأْنٌ آخَرَ، لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنْ يَنْشَأَ هَذَا عَنْ مَانِعٍ مِنَ الْمَوَانِعِ، فَيُخَالِفُ أَمْرَهُ فِي الزَّوْجِ أَمْرَ الشَّبَابِ.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخارى (٤١٢/٣)، ومسلم (١٢٨/٤).

«فَلْيَتَزَوَّجْ» الأمر فيه للندب؛ لأنَّ الزواج سنة لا فرض، وقد يجب إذا تعين وسيلةً للمنع من نحو الزنا .

«فَإِنَّهُ أَعْضُ لِلْبَصْرِ» الفاء للتعليل، والضمير يعود إلي الزواج المفهوم من قوله «فَلْيَتَزَوَّجْ».

وأفعل التفضيل في قوله «أَعْضُ» يجوز أن يكون علي بابه أو يكون علي غير بابه .

وقد يُقال : كيف لا يُستطاع الزواج مع أنه يكفي مهره خاتم من حديد؟!

والجواب: أنَّ الاستطاعة في الزواج لا تقتصر علي المهر، بل يدخل فيها ما يلزم من النفقة علي الزوجة، وغير ذلك، فضلاً عن القدرة الجسدية والاستطاعة النفسية .

«فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ» عليه اسم فعل أمر بمعني الزم، والباء زائدة، والصوم مفعول به منصوب بفتحة مقدرة لأجل حركة حرف الجر الزائد، ويجوز أن يكون عليه جار ومجرور خبر مقدم، والباء زائدة، والصوم مبتدأ مؤخر.

«فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» الفاء للتعليل، وَإِنَّ حرف توكيد ونصب،  
والضمير اسمها، و له جار ومجرور متعلق بوجاء، ووجاء  
خبرها .

«فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» ويدل على هذا قوله تعالى:  
﴿وَلَيْسَتَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ  
مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور/٣٣].

وفي هذا أيضًا عدم التكليف بغير المستطاع .

## ③

عن ابن عمر رضي الله عنهما، كَانَ يَقُولُ: « نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، وَأَنْ يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، حَتَّى يَتْرُكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الْخَاطِبُ » <sup>(١)</sup>.

توجيهات وتحقيقات الحديث :

«الرجل» "أل" هي أل الجنس، فالمراد بالرجل أي رجلٍ كان؛ لأنَّ مدخول "أل" التي للجنس في معنى النكرة .

«بيع أخيه»، «خطبة أخيه» الأخوة هنا قيل هي أخوة الإسلام، وقيل هي أخوة الإنسانية؛ فيشمل النهي المسلم وغير المسلم، وهذا هو الأصح؛ لأنَّ الذي والمعاهد لهما من الحقوق مثل ما للمسلم وعليهما ما عليه .

«حتى يترك الخاطب» قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «حتى» يجوز أن تكون بمعنى إلي، ويجوز أن تكون بمعنى إلا .

«أو يأذن له الخاطب قبله» ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون الاكتفاء بما قبلها؛ لأنَّه قد يعلن تركه للخطبة كما في

<sup>(١)</sup> رواه البخاري (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢)، وغيرهما .

المعطوف عليه فلا يحتاج الخاطب الثاني في هذه الحالة إلى إذنه، وقد يسكت فلا يُعلن تركه للخطبة مع انصراف نفسه عنها كما في المعطوف، وفي هذه الحالة يحتاج إلى إذنه، فهما حالتان لا يمكن الاستغناء بإحدهما عن الأخرى.

وقد يُقال : فهل يحتاج إلى إذن الخاطب إذا رفضت المخطوبة أو وليها خطبته ولم يتركها ولم يأذن؟!

والجواب: أنّ في هذه الحالة لا يحتاج إلى إذنه؛ لأنّ اصراره على الخطبة بعد رفضها من المخطوبة أو وليها لا حق له فيه .

وفي منع الخطبة عنها لاصراره عليها ضرراً لها وتحكّم له في أمرها ، وهو لا يملك أن يتحكّم فيه .

لم يقل النبي ﷺ في البيع «حتى يترك أو يأذن» كما قال في الخطبة؛ وذلك لأنّ البيع عقد قد تمّ، فلا يأتي فيه مثل ذلك، فإذا كان لم يتم بأن كان في حال المساومة في البيع فإنّه يأتي فيه مثل ذلك .

## ④

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تُنكحُ الأيمُ حَتَّى تُستأمرَ، وَلَا تُنكحُ البكرُ حَتَّى تُستأذنَ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ»<sup>(١)</sup>.

توجيهات وتحقيقات الحديث :

«الأيم» تأيمت المرأة وتأييم الرجل؛ طالب العزوبة علي كل منهما، فتقول: هي أيم ما لها من قيم.

وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الأيمة.

قوله صلى الله عليه وسلم «تستأمر» أي يُطلب أمرها، وتأمر هي بذلك وترضي.

«البكر» والبكر لغة: العذراء التي لم يمسه رجل.

قال ابن منظور: البكر: الجارية التي لم تفتض، وجمعها أبكار، والبكر من النساء التي لم يقربها رجل، ومن الرجال الذي لم يقرب امرأة، والجمع أبكار، وامرأة بكر: حملت بطنًا واحدًا.

<sup>(١)</sup> رواه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩).

والبكر: العذراء، والمصدر البكرة - بالفتح- والبكر: المرأة التي ولدت بطناً واحداً، وبكرها ولدها، والذكر والأنثى في هذا سواء<sup>(١)</sup>. اهـ

وأما البكر في اصطلاح الفقهاء : فالمراد بها المرأة التي لم يمسه رجل، حتى لو زالت بكارتها بغير وطء، فهي بكر إجماعاً عندهم ، فإن وطئها رجل في نكاح صحيح أو فاسد أو شبهة نكاح فهي ثيب إجماعاً، وفيمن زالت بكارتها بوطء حرام- أي زنى- خلاف.

وعلى هذا؛ فالبكر عند الفقهاء أخص مما نصت عليه معاجم اللغة، كما هو الشأن في كثير من دلالات الألفاظ على معناها اللغوي من جهة، ثم معناها الشرعي أو الاصطلاحي من جهة أخرى.

وعليه؛ فلا يدخل في مسمى البكر هنا: الرجل الذي لم يطاء امرأة بعد، وإن سمي بكرة كما في قوله **صلى الله عليه وسلم**: « البكر بالبكر، جلد مائة ونفي سنة »<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر لسان العرب (٧٨/٤) .

(٢) رواه مسلم ( ١١ / ١٨٨ - ١٩١).

وكذلك لا تدخل المرأة بعد وطئها، فضلاً عن أن تسمى بكرةً بعد حملها أو وضعها أول أولادها، إلا ما قيل في الموطوءة بزني، وإن كانت ثيباً لغةً.

ولعل تسمية أهل اللغة للمرأة في أول حمل لها، أو ولد تضعه بكرةً إنما هو استصحاب للاسم الأول؛ لقرب عهدها به، أو باعتبار عموم التسمية في الأصل: وهو أن أول كل شيء يسمى بكرةً، وهذا أول حمل لها، وأول ولد تضعه، فسميت بكرةً لذلك، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

«تستأذن» يُطلب إذنها، وتأذن هي بذلك.

وفي «تستأمر»، «تستأذن» دلالةٌ علي أن للمرأة أن تختارَ شريكَ حياتها، وأن توافقَ عليه، لأنَّ مبدأ الإختيار هذا من خصوصياتها التي ينبغي أن تفصل فيه بالرأي السديد والعقل الراجح.

(١) بتصرف من كتاب الولاية في النكاح (٢٧٣/١) رسالة ماجستير تأليف: عوض بن رجاء بن فريج العوفي، نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م. [مع المصادر التي أحال عليها].

وهذا يضرب بتقاليد الجاهلية عُرض الحائط، ولا يأبه لها؛ فقد كانت المرأة مهزومة ليس لها حق ولا رأي ولا اختيار.

ومعلوم أنّ المرأة إنسان ينبغي أن تكون ذات رأي في أخص ما يخصها وهو اختيار الزوج، ما دامت ذات عقل راجح، ورأي سديد، وتفكير صحيح، وتقدير للعواقب.

«لَا تُنكِحُ الْأَيِّمَ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ» إن كانت المرأة بالغة عاقلة ثيباً فلا يصح لوليها أن يزوجه دون استشارتها ودون أن تستأمر؛ أي يطلب منها معرفة رأيها في هذا الأمر صراحةً، وتجب بلسانها عن رضاها.

«وَلَا تُنكِحُ الْبِكْرَ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ» أمّا إذا كانت بكرًا فعلي وليها أن يستأذنها.

ولا بُدّ من معرفة رضاها، ولو عن طريق السكوت، وعدم الاعتراض، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَسْكُتَ».

وفيه أنه لا بُدّ من طلب الأمر من الثيب، فلا يُعقد عليها حتى يطلب الولي الأمر منها بالإذن بالعقد، والمراد

مِنْ ذَلِكَ اِعْتَبَارُ رِضَاهَا ، وَهُوَ مَعْنَى أَحَقِّيَّتِهَا بِنَفْسِهَا مِنْ  
وَلِيِّهَا فِي الْأَحَادِيثِ<sup>(١)</sup>.

وجاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «  
الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ، وَإِذْنُهَا  
سُكُوتُهَا»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «  
الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالْبِكْرُ  
يَسْتَأْذِنُهَا أَبُوهَا فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا، وَرُبَّمَا قَالَ:  
وَصَمَّتْهَا إِقْرَارُهَا»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية: «  
الْأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالْيَتِيمَةُ  
تُسْتَأْمَرُ، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية: «  
لَيْسَ لِلْوَالِيِّ مَعَ الثَّيِّبِ أَمْرٌ، وَالْيَتِيمَةُ تُسْتَأْمَرُ  
وَصَمَّتْهَا إِقْرَارُهَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) سبل السلام للصنعاني ( ٢ / ١٧٤ ) نشر دار الحديث .

(٢) رواه مسلم ٦٧ - (١٤٢١) .

(٣) رواه مسلم ٦٨ - (١٤٢١) .

(٤) رواه النسائي ( ٣٢٦١ ) .

(٥) رواه أبو داود ( ٢١٠٠ ) ، النسائي ( ٣٢٦٣ ) ، أحمد ( ٣٠٨٧ ) .

وعند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البكر تُستأمر، والشيب تُشاور» قيل: يا رسول الله، إنَّ البكر تَسْتحي؟! قال: «سكوتها رضاها»<sup>(١)</sup>.

قوله صلى الله عليه وسلم «أن تسكت» مصدر مؤول أي سكوتها، وهو خبر لمبتدأ مقدر؛ أي "إذنها سكوتها"، ويجوز أن تكون مبتدأ والتقدير: "سكوتها إذنها"، والأول أولى؛ لأنَّ الإذن هو المتحدث عنه فيكون مبتدأ.

(١) حديث صحيح رواه أحمد (٧١٣١).

⑤

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ<sup>(١)</sup>، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لَدِغَ سَيِّدٌ أَوْلَيْكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلَا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعَلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأَمِّ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ»<sup>(٢)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ» كانوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ولهذا لم يقروهم، ولو كانوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَقَرُّوهُمْ؛ لِأَنَّهْمُ يَكُونُونَ إِخْوَانًا لَهُمْ.

ودليل ذلك ما ورد في رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ سَرِيَّةً عَلَيْهَا أَبُو سَعِيدٍ،

(١) أي فلم يضيفوهم .

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٣٦)، (٢١٥٦)

فَمَرَّ بِقَرْيَةٍ فَإِذَا مَلِكُ الْقَرْيَةِ لَدِيْعٌ ، فَسَأَلْتَاهُمْ طَعَامًا فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُنْزِلُونَا ، فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يُحْسِنُ أَنْ يَرِقِيَ؟ إِنَّ الْمَلِكَ يَمُوتُ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَاتَيْتُهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ فَأَفَاقَ وَبَرَأً ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا بِالنُّزْلِ وَبَعَثَ إِلَيْنَا بِالشَّاءِ ، فَأَكَلْنَا الطَّعَامَ أَنَا وَأَصْحَابِي وَأَبَوْنَا أَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الْغَنَمِ حَتَّى أَتَيْتَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَيْءٌ أَلْقِي فِي رَوْعِي ، قَالَ: «فَكُلُوا وَأَطْعِمُونَا مِنَ الْغَنَمِ»<sup>(١)</sup>.

«فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لُدِعَ» اختلف في «إِذْ» الواقعة بعد بينا أو بينما، فقيل: هي ظرف مكان أو زمان، أو حرف بمعنى المفاجأة أو حرف توكيد -أي زائد-.

وعلى أنها ظرف؛ يكون عاملها الفعل بعدها لأنها غير مضافة إليه ، وعامل بينا وبيننا محذوفٌ يفسره الفعل المذكور، وقيل «إِذْ» مضافة إلى الجملة فلا يعمل فيها الفعل ولا في بينا وبينما؛ لأنَّ المضاف إليه لا يعمل في المضاف

(١) رواه الدارقطني ( ٣٠٣٧ ) .

ولا فيما قبله، فيكون عاملها محذوفاً يدل عليه الكلام، و  
«إِذْ» بدل منهما، وقيل في إعرابها غير ذلك.

«سَيِّدُ أَوْلِيَّكَ» ولم يقل "هؤلاء" تحقيراً لهم باسم الإشارة  
الذي للبعيد؛ لأنهم لم يقروهم.

«هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟» هل حرف استفهام،  
ومعكم ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف خبر مقدم،  
ومن زائدة، ودواء مبتدأ مجرور لفظاً بمن الزائدة مرفوع  
محلاً، وراق معطوف علي دواء مرفوع بضمه مقدره علي  
الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، وراق اسم فاعل من رقي  
بمعني الرقية، وقيل هو اسم فاعل بمعني المصدر؛ لأنَّ اسم  
الفاعل يجيء بهذا المعني.

وقدّم «دواء» علي «راق» لأنَّ الدواء هو العلاج الأصلي  
للأمراض، أمّا الرقية فتأتي بعد الدواء.

«فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمَّ الْقُرْآنِ» القارئ هو أبو سعيد الخدري  
كما يؤخذ من روايةٍ أُخري جاء فيها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ  
بعث سرية عددها ثلاثون رجلاً وأمرَ عليهم أبا سعيد  
ﷺ.

«فَأَتَوْا بِالشَّاءِ» الفعل " أتى " متعد ومفعوله محذوف تقديره فأتوهم، وأل في الشاء للعهد الذكري، والمعهود القطيع من الشاء الذي اتفقوا عليه وهو ثلاثون من الغنم.

« فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ »  
ليس المراد أنهم أبوا أن يأخذوها منهم، وإنما الذي حصل أنهم أعطوهم الشاء وقدموا لهم طعاماً، فأكلوا الطعام وأرادوا قسمة الغنم، فقال لهم أبو سعيد رضي عنه : لا تفعلوا حتي نأتي النبي ﷺ ، وننظر ما يأمرنا، ولا نأخذ علي كتاب الله أجر.

وقد يُقال : كيف أنكر أبو سعيد الخدري رضي عنه أن يأخذ هذا الأجر بعد أن طلبه وأخذه!؟

والجواب: لأنه ظنَّ أولاً أنه يجوز له ذلك، ثم شكَّ في جوازه له؛ لأنَّه أخذه باجتهاد منه، والمجتهد قد يُخطيء في اجتهاده كما يُصيب فيه.

«فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ» إنما ضحك النبي ﷺ اقراراً لفعالهم ، لأنَّ هذا علامة اقرار الفعل ، كما أنَّ الغضب علامة عدم اقراره .

وقيل إِنَّ فِي ضحكِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بلاغة، والصحيحُ أَنَّ البلاغةَ مِنْ صفات الكلام، والضحك ليس بكلام، فلا يُوصف بالبلاغة .

«وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ» الاستفهام تقريرِيٌّ، يُراد منه تقرير أنها رقية، ويجوز أن يكون تعجبِيًّا .

«خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ» ..

قد يُقال : فكيف اقتسموا الشاء مع أَنَّهَا أَجْرُ الرَّاقِي وهو أبو سعيد الخدرِيّ **رضي الله عنه**؟ وكيف أخذ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سهمًا مع أَنَّهُ لم يكن معهم؟!

والجواب: أنهم اقتسموها برضا أبي سعيد **رضي الله عنه**، ويجوز أن يكونوا عدوها فيئًا، لأنها حصلت لهم وهم في سبيلهم إلى الجهاد؛ فتكون مِنَ الْفِيءِ الذي يحصل قبل القتال.

وإنَّما أَخَذَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سهمًا منها؛ إظهارًا لحلها، أو لأنَّ له حقًا في الفيء أيضًا.

وقد يُقال : وهل حصل البرء بتأثير الفاتحة أو بتأثير الراقِي فيمن رقاها؟!

والجواب : قيل إِنَّهُ بِتَأْثِيرِ الْفَاتِحَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ  
الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء/٨٢].

و"من" في الآية لبيان الجنس، فجميع القرآن شفاء.

وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال :-

- أحدها: شفاء من الضلال، لما فيه من الهدى .
- والثاني: شفاء من السقم، لما فيه من البركة.
- والثالث: شفاء من البيان للفرائض والأحكام .

وقيل إِنَّ الْفَاتِحَةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَنْزَلْ لِيُرْقِي بِهِ،  
وإنما هو كتابٌ هدايةٌ للنَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ذَلِكَ  
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/٢]، ﴿يَا أَهْلَ  
الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ  
تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ  
نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ  
السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة/١٥، ١٦]، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ  
فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/٥٢]،

## ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ | هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾

[لقمان/٢، ٣].

وعلي هذا يكون البرء بتأثير الراقي فيمن رقاها عندها لا بها ، وهذا أمر قد يوجد في بعض الناس فلا يصح لكل واحد أن يتعاطاه ، ولا يصح أن يكون هو المعول عليه في علاج المرضى ، وإنما يجب أن يكون المعول عليه في علاجهم الدواء ؛ كما ورد في حديث : « عباد الله تداووا ولا تداووا بجرام »<sup>(١)</sup>.

وعن أسامة بن زيد وابن مسعود ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ بَثَّ الداءَ وَبَثَّ الدَوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ داءٍ دَوَاءً مِنَ الشَّجَرِ وَالْعَسَلِ فَتَدَاوُوا »<sup>(٢)</sup>.

وعن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم : « أَنَّ رَجُلًا فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُرِحَ فَاحْتَقَنَ الْجَرَجَ بِالْدمِ وَأَنَّ الرَّجُلَ دَعَا بَرَجَلِينَ مِنْ بَنِي أَنْمَارٍ فَنظَرَا إِلَيْهِ فَقَالَ لهُمَا رَسُولُ اللَّهِ : « أَيَكْمَا أَطْبِ ؟ ! » فَقَالَا : أَفِي الطَّبِّ خَيْرٌ يَا

(١) رواه الترمذي (٣٨٧٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٧٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ٥ .

رسول الله؟! فقال رسول الله ﷺ: « أنزل الدواء الذي أنزل الداء»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: قَالَتْ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: « نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: « الْهَرَمُ».

وفي لفظ: « تداووا عباد الله! فإن الله لم ينزل داءً إلا قد أنزل له شفاءً؛ إلا السام والهرم»<sup>(٢)</sup>.

وقد يُقال: وكيف داووا سيد أولئك المشركين، مع أنهم كانوا يجاهدونهم؟!

والجواب: إنما داووه لأنهم لم يكونوا في جهادٍ معهم، وإنما كانوا في طريقهم إلى الجهاد مع غيرهم.

(١) رواه مالك في الموطأ (٩٤٤) وابن عبد البر في التمهيد (١١٠).

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٢/٤)، والترمذي (٣٨٣/٤)، وابن ماجه (١١٣٧/٢)، وأحمد (٢٧/٤)، والحاكم (٣٩٩/٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٤٣/٩).

ولأنَّ الإسلام دين سمح، فهو يدفع السيئة بالحسنة  
ويداوي مَنْ يطلب الدواء منه، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ  
يَنَاقِضُونَهُ.

ولا خلاف بين الفقهاء في جواز رقية المسلم للكافر<sup>(١)</sup>.

تنبيه: ورد في بعض طُرُقِ الحديث أنه قرأ الفاتحة سبع  
مرات، والأظهر أنها رواية شاذة.

(١) انظر الموسوعة الفقهية ١٣ / ٣٤ .

## تتمة في ذكر حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

### في بيان رقية النبي صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُعَوِّدُ بَعْضَ أَهْلِيهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»<sup>(١)</sup>.

«يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى» فُصِّلَ عَمَّا قَبْلَهُ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ، لِأَنَّ الثَّانِيَّ بَيَانٌ لِلأَوَّلِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ لَشَبْهِ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ، لِأَنَّ الثَّانِيَّ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، وَتَقْدِيرُهُ: كَيْفَ كَانَ يَعُوذُهُمْ؟!

وقولها «يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى» فِيهِ إِجْزَازٌ بِالْحَذْفِ؛ وَالتَّقْدِيرُ: يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى عَلِيٌّ مَنْ يَعُوذُهُ.

«وَأَنْتَ الشَّافِي» الْوَائِلُ لِلْحَالِ، «أَنْتَ الشَّافِي» فِي مَوْضِعِ نَصْبِ عَلِيٍّ الْحَالِيَةِ.

<sup>(١)</sup> رواه الإمام البخاري (٥٧٣٤).

«لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ» فُصِّلَ عَمَّا قَبْلَهُ لِكَمَالِ الْإِنْقِطَاعِ؛  
لَاخْتِلَافِهِمَا خَيْرًا وَإِنْشَاءً.

«شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا» فُصِّلَ عَمَّا قَبْلَهُ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ  
كَمَالِ الْإِتِّصَالِ، أَوْ لِشَبْهِ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ  
يَكُونَ جَوَابًا لِسُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، وَتَقْدِيرُهُ: لِمَاذَا كَانَ لَا شِفَاءَ إِلَّا  
شِفَاؤُهُ؟!؟

⑥

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، يَقُولُ : « إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا ، فَأَعْطُوا قَيْرَاطًا قَيْرَاطًا ، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ ، فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ، ثُمَّ عَجَزُوا ، فَأَعْطُوا قَيْرَاطًا قَيْرَاطًا ، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَأَعْطِينَا قَيْرَاطَيْنِ قَيْرَاطَيْنِ ، فَقَالَ : أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ : أَيُّ رَبَّنَا ، أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قَيْرَاطَيْنِ قَيْرَاطَيْنِ ، وَأَعْطَيْتَنَا قَيْرَاطًا قَيْرَاطًا ، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا ؟ قَالَ : قَالَ اللَّهُ ﷻ : هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مَنْ أَشَاءُ »<sup>(١)</sup>.

### تحقيقات وتوجيهات الحديث :

«إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ» حرف الجر "في" في قوله ﷺ : «فِيمَا» قيل إنها بمعنى "إلى"؛ والتقدير: إنما

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥٥٧) ، (٧٤٦٧) .

نسبة زمن بقاؤكم إلي زمن ما سلف قلبكم من الأمم  
كنسبة الزمن الذي بين صلاة العصر وغروب الشمس إلي  
بقية النهار، ولا يخفي ما في هذا التقدير من التكلف .

والأولي أن تكون "في" للمقايسة؛ كما في قوله تعالى  
﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة/٣٨]،  
ولا يحتاج مع هذا إلي تقدير تلك المضافات .

وقد استغرب البعض استعمال النبي ﷺ "ما" في  
قوله «فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ» مع وقوعها علي مَنْ يَعْقِلُ !!

والجواب علي ذلك أن "ما" قد ترد لأنواع مَنْ يعقل؛ كما  
ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ  
النِّسَاءِ﴾ [النساء/٣]، وكما في هذا الحديث .

الحصر في قوله ﷺ : «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ» قصر حقيقي  
ادعائي؛ لأنه ﷺ قصر فيه بقاؤهم علي مشابهة ما بين  
صلاة العصر وغروب الشمس .

«كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ» تقدير  
الكلام: كما بين أوقات صلاة العصر ممتداً إلي غروب  
الشمس؛ لأنَّ "بين" لا تضاف إلا إلي متعدد، أي كالبقاء

الذي بين هذه الأوقات، فما واقعة علي بقاء؛ ليكون فيه تشبيه بقاء بقاء.

«مِنَ الْأُمَمِ» أَلْ عَهْدِيَّة؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأُمَمِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارِيَّ بِدَلِيلِ بَاقِي الْحَدِيثِ؛ فَهِيَ لِلْعَهْدِ الْعِلْمِيِّ؛ وَإِنَّمَا خَصَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارِيَّ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ لِبَقَائِهِمْ إِلَى زَمَنِ الْمُسْلِمِينَ .

«أَوِّيْ أَهْلُ التَّوْرَةِ» فَصَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا قَبْلَهُ؛ لِشَبْهِ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ؛ لِأَنَّهُ وَاقَعَ فِي جَوَابِ سُؤَالٍ مُّقَدَّرٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَيْفَ كَانَ بَقَاؤُنَا كَذَلِكَ؟! فَأُجِيبُوا بِذَلِكَ.

وَقَدْ يُقَالُ كَيْفَ نَسَبَ إِلَيْهِمُ الْعِجْزَ مَعَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا مَا أَمَرُوا بِهِ وَلَمْ يَكْلِفُوا بِمَا بَعْدَهُ حَتَّى يَعْجِزُوا عَنْهُ؟! وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمُرَادَ عِجْزَهُمْ عَنِ إِدْرَاكِ الْأَجْرِ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّمَ عِجْزَهُمْ عَنْهُ إِذَا كَلَّفُوا بِهِ لِعَدَمِ اسْتِعْدَادِهِمْ لَهُ .

قَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «قَيْرَاطًا» الثَّانِي؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى الْأَوَّلِ بِتَقْدِيرِ حَرْفِ الْعَطْفِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَأَعْطُوا فَقَيْرَاطًا

وقيراطًا، وإمّا أن يكونَ التقدير: فأعطوا قيراطًا بعد قيراطٍ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

غَيَّرَ النبي ﷺ الأسلوب في قوله «ثُمَّ أُوتِينَا» -علي التكم- بعد قوله «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ» -علي الخطاب- وهذا مِنْ الالتفات مِنْ الخطاب إلي التكم، وفيه فائدة الالتفات مِنْ تجديد نشاط السامع ونحوه، مع إظهار الاهتمام بما أتوه.

آثروا في ندائهم «أَيُّ رَبَّنَا» "أي" التي لنداء القريب علي "يا" التي لنداء البعيد؛ لأنهم قصدوا أن يكونوا في منزلة القرب منه استجلابًا لعطفه عليهم حتي يُسويهم في الأجر بغيرهم.

قوله ﷺ «أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قَيْرَاطِينَ» هو إنشاء لأنه علي حذف أداة الإستفهام، والتقدير: أعطيت هؤلاء قيراطين؟! والاستفهام في هذا تعجبي؛ لأنهم يتعجبون مِنْ إعطائهم قيراطين دونهم.

وقد يُقال : هل تخصيصهم بمشقة العمل دون المسلمين لقوتهم وضعف المسلمين!؟

والجواب: لا ؛ لأنَّ المسلمين كانوا أقوى من اليهود والنصاري كما يدل عليه القرآن في اليهود حينما أمرهم موسى عليه السلام بقتال أعدائهم فجنبوا عنه ، أو النصاري هم الذين ابتدعوا في دينهم الرهبانية ونحوها مما صعبوا به علي أنفسهم ، أمَّا المسلمون فقاتلوا أعدائهم حتي انتصروا عليهم ، ولم يصعب عليهم برهبانية ونحوها .

وقيل : لماذا أجابهم الله بهذا الجواب الذي يُسكتهم من غير أن يكون فيه بيان حكمة تفضيل المسلمين عليهم كما أرادوا من سؤالهم؟!

والجواب : أنَّ الله جل جلاله أجابهم بهذا لما في سؤالهم من شائبة الاعتراض علي فعله، فلم يكونوا أهلاً لبيان الحكمة، وكان المناسب لهم هذا الجواب الذي فيه شيء من التوبيخ لهم علي خفاء حكمته عليهم.

أمَّا الحكمة في ذلك فهي أنَّ الأجر لا يلزم أن يكون بقدر المشقة في العمل؛ لأنَّ من الأعمال الشاقة ما يكون أجرها أقل من غيرها؛ لأنه أرقى منها وإن كان دونها مشقة، وشريعة المسلمين أرقى من غيرها من الشرائع؛ ولهذا

ضوعف لهم الأجر عليها، ولأنهم أيضًا يؤمنون بنبيهم ومن  
قبله من الأنبياء؛ فأعطوا أجرًا علي إيمانهم به صلى الله عليه وسلم  
وأجرًا علي إيمانهم بمن قبله من الأنبياء عليهم السلام.

٧

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :  
« لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى  
هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا  
وَيُعَلِّمُهَا » <sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

الحسد في الحديث بمعنى الغبطة، لأنَّ الحسد معناه إمَّا  
تمني زوال نعمة الغير مطلقًا وإمَّا تمني زوالها لنفسه، وهو  
مذمومٌ في الحالين، أمَّا الغبطة فهي تمني مثل ما للغير، وهي  
ممدوحةٌ بخلاف الحسد، فهو مذموم حتى فيما استثناه  
الحديث.

وإطلاق " الحسد " علي " الغبطة " فيما قيل مجاز مرسل  
علاقته الإطلاق والتقييد، أو استعارة بجامع الاشتراك في  
مطلق التمني.

وقد آثر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لفظ " الحسد " مع أنه  
مذموم علي لفظ " الغبطة " مع أنه ممدوح؛ للإشارة إلي أنَّ في

<sup>(١)</sup> رواه البخاري ( ٧٣ ، ١٤٠٩ ، ٧١٤١ ، ٧٣١٦ ) ، ومسلم ( ٢٦٨ ) .

الغبطة شائبة من الحسد وهو التطلع إلي ما عند الغير، وبهذا يكون الحامل عليها حب المنافسة، ولا شك أنّ المنافسة في الخير ممدوحة، ولكن هناك درجة أرقى منها، وهو إرادة الخير لذات الخير، لا لمنافسة الغير فيه، لأنّ المنافسة قد تحمل علي الحسد عند الاخفاق فيها، بخلاف إرادة الخير لذات الخير، ولهذا يكون الأوجه اطلاق "الحسد" علي "الغبطة" من قبيل الاستعارة لا من قبيل المجاز المرسل، لأنّ المجاز المرسل الذي علاقته الاطلاق والتقيد من المجاز غير المفيد، وعلي هذا الاطلاق استعارة تشبه الغبطة بالحسد بجامع ما فيهما من التطلع إلي ما عند الغير، لا بجامع اشتراكهما في مطلق التمني، لأنه لا يكفي في اطلاقه عليها، ثم يستعار لفظ المشبه به للمشبه علي سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ» الحصر هنا تحقيقي ادعائي من قصر الموصوف علي الصفة لأنه قصر فيه الحسد بمعنى الغبطة علي الكون في اثنتين، فهو قصر موصوف علي صفة، ولكنه ادعائي لأن الحسد بمعنى الغبطة يكون في غير الاثنتين فنزل غيرهما منزلة العدة علي سبيل الادعاء.

لطيفة : ما حكم تمنى زوال نعمة البخيل أو الفاسق أو الكافر ونحوهم!؟

قيل إنه يستثنى من ذم تمنى زوال نعمة الغير مثل هؤلاء لأنهم يستعينون بها علي معاصيهم، وإن كان الأفضل هنا تمنى هدايتهم لا زوال نعمتهم.

«فَهُوَ يَقْضِي بِهَا» معناه فهو يعمل بها .

كما في قوله تعالى : ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾  
[فصلت / ١٢] أي عملهنَّ .

⑧

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم : «كَانَ فَيَمَنُ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«كَانَ فَيَمَنُ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ» تقدير الكلام : كان رجلٌ به جرح فيمن كان قبلكم، فـ«رَجُلٌ» اسم كان، «بِهِ جُرْحٌ» صفته، «فَيَمَنُ كَانَ قَبْلَكُمْ» خبرها.. وإنما قُدِّمَ الخبر علي الاسم لإفادة أنها قصة قديمة من أول الأمر، وللسامع اهتمامٌ بهذا القصص.

«كَانَ» -الثانية- يجوز أن تكون زائدة بين الموصول وصلته، وأن تكون تامة فاعلها ضمير يعود إلي الموصول، وأن تكون ناقصة اسمها عائد إلي الموصول، وخبرها «قَبْلَكُمْ».

<sup>(١)</sup> رواه البخاري ( ٣٤٦٣ ) ، ومسلم ( ١٨٠ ) بلفظ : «إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَرَجَتْ بِهِ فُرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَنَكَأَهَا، فَلَمْ يَرَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ رَبُّكُمْ: قَدْ حَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

«فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ» المراد باليد هنا بعضها، وهو موضع الحزِّ فقط، علي سبيل المجاز المرسل، مِنْ باب اطلاق الكل وإرادة الجزء.

«فَمَا رَقًا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ» قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «حتي» بمعنى إلي؛ أي فما سكن الدم إلي أن مات، فيكون حرف جر، وأن مضمرة بعده، وهذا هو رأي ابن مالك .

وقيل إنَّها ابتدائية لا جارة لدخولها علي الجملة.

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى» فصل النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هذا القول عما قبله لشبه كمال الاتصال؛ لأنه واقع في جواب سؤال مقدر، وتقديره، فماذا كان عقاب الله له !؟

قوله «بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ» ليس استعارة، وإنما حقيقة؛ لأنَّه استعجل بنفسه حقيقةً في الظاهر.

وهذا يكفي في كون الاسناد اللغوي حقيقةً لا مجازًا .

وقد يُقال: كيف بادره بنفسه مع أنه ميت في أجله الذي قدره الله له !؟

والحق أنّ مبادرته بنفسه لا يمنع أنه مات في أجله المقدر له، لأنّ الله ﷻ هو الذي قدّر له أن يُبادر بنفسه فبادرَ بها، وكان موته مع هذا في أجله المقدر له.

ويجوز أن يكون للانسان في هذا أعلان بتقدير الله: أجلٌ معجلٌ بشرط حصول ذلك الفعل، وأجلٌ مؤجلٌ بشرط عدم حصوله .

«حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» معطوفة علي ما قبلها بفاء مقدره، والتقدير: فحرمتُ عليه الجنة، أو أنها مفصولة لشبه كمال الاتصال.

وقد يُقال: وهل تحريم الجنة عليه مؤقت أو مؤبد؟!

وفي ذلك تفصيل؛

ذلك أنه إن لم يعتقد حِلَّ ما فعل = كان تحريمها عليه مؤقتًا،

وإن كان يعتقد حِلَّ ما فعل = كان تحريمها عليه مؤبدًا؛ لأنّه يكون كافرًا بشريعة تحريمه .

وهل تحريم الانتحار في هذا الحديث علي مَنْ كان قلبنا  
يقتضي تحريمه علينا؟!

نعم يقتضي تحريمه علينا؛ لأنَّ الحقَّ أنَّ شرع مَنْ قبلنا  
شرعٌ لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه<sup>(١)</sup>.

علي أنَّه قد وردت أحاديثٌ أخرى في تحريم الانتحار في  
شرعنا.

(١) فائدة أصولية في شرع مَنْ قبلنا :

- (١) إذا عارضه شرعنا = فليس شرعاً لنا .
- (٢) إذا وافق شرعنا = قُبِل .
- (٣) إذا لم يكن معارضاً ولا موافقاً لشرعنا (مسكوت عنه) = اختلف فيه . ( وللتفصيل في هذا يُرجع إلي كتب الأصول، فقد بحث العلماء هذه القضية حتى أُشِبت، ولله الحمد والمنة ).

٩

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ :  
«إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفِقٍ، وَلَا تُبَعْضْ إِلَى  
نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا  
أَبْقَى»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ» أكد النبي صلى الله عليه وآله كلامه بـ «إِنَّ»  
لحال المخاطب؛ لأنه يُنكر أن الدين متين أو يشك في هذا،  
فيوغل فيه حتى يحمل نفسه ما لا يطيق، وقد يكون غير  
منكر لهذا ولا شاكاً فيه ولكنه نزل منزلتهما، والله تعالى  
يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ  
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا  
رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا  
رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا  
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/  
٢٨٦].

(١) حديث حسن لغيره؛ خرَّجه البيهقي في السنن الكبرى (١٩/٣) ،  
والشهاب في مسنده ١٨٤/٢ (١١٤٧).

وقال أيضاً: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق/٧].

وقال رحمته: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج/٧٨].

وقال رحمته: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة/٦].

و«الدِّين» المراد به التكليف الشرعية سواء في دين الإسلام أو غيره .

وقد ورد في حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال : «إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره»<sup>(١)</sup>، وفي غيره : «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»<sup>(٢)</sup>، فهو يسر لا عسر.

(١) حديث حسن، خرجه الامام أحمد في مسنده (٤٧٩/٣).

(٢) علقه البخاري في صحيحه ١ / ٢٣ ، ورواه غيره موصولاً كالامام أحمد في مسنده ٥ / ٢٦٦ وغيره من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وأخرج البخاري في الأدب المفرد ( ٢٨٧ ) وغيره ، عن ابن عباس قال: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَي الدِّينِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ».

وقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٌ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنِ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا ، فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : « أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لِكَيْيَ أَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » <sup>(١)</sup>.

وقد ذمَّ الله أهل الكتاب بسبب غلوهم فقال تعالى :  
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [المائدة/٧٧].

قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر رحمه الله : الإسلام يسر بالنسبة إلى الأديان قبله لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم ومن أوضح الأمثلة أن توبة

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٢٩/٤) (١٤٠١).

من كان قبلنا كانت بقتلهم أنفسهم وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم على عدم العودة للذنب والندم<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون»<sup>(٢)</sup>.

فالدين يلائم فطرة الإنسان ويناسب تكوينه ولا يصطدم مطلقاً بأي جانبٍ مِنْ جوانبه الشعورية أو الوجدانية أو الجسدية أو الغريزية.

وما دام الإسلام يتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها وأنَّ هذا الاتفاق والاتساق هو منبع اليسر، فإنَّ مَنْ فسدت فطرته وانتكست فلن يشعر بهذا اليسر، لا لأنَّ الدين عسر ولكن لأنَّ فطرته هو فسدت فلم تستقم على هذا الدين. وأمَّا مَنْ استقامت فطرته فهذا هو الذي يشعر بيسر الإسلام ويسعد به.

(١) انظر فتح الباري ١/١١٨.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠)، وعلق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي بقوله: أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. وقال الشيخ ابن تيمية في معنى المتنطعون: المتشددون في غير موضع التشديد [الفتاوى الكبرى (٨٧/٢)].

قال الله تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا  
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة/٤٥].

وقال أيضًا : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا  
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا  
جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ  
مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ  
هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ  
لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة / ١٤٣].

وقد قال النبي ﷺ لمعاذ عندما سأله عَنْ عَمَلٍ يَدْخُلُهُ  
الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُهُ عَنِ النَّارِ : «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ  
لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ  
شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ  
الْبَيْتَ ...»<sup>(١)</sup>.

فما أعظم التناسق بين كون الله وشريعته وفطرة خلقه  
إنَّه الإعجاز المبهر بجوار النعمة السابعة.

<sup>(١)</sup> أخرجه الترمذي ٣٠٨/٤ (٢٦١٦) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال تعالى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل/١٨].

وقال أيضًا : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم/٣٤].

ويجوز أن يُراد بـ«الدَّيْن» الإسلام علي أنَّ شدة تكاليفه بالنسبة إلي عدمها، لأنَّ النفس تستثقلها مع يسرها، وتميلُ إلي أن تسير وفق هواها.

«فإنَّ» الفاء للتعليل، وهي تعليلٌ لمحذوف تقديره : فإِنَّكَ لو أوغلت فيه بغير رفقٍ أهلكت نفسك وانقطعت.

«فإن المنبت<sup>(١)</sup> لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى» أكده النبي ﷺ كما أكد أول كلامه؛ لأنَّه مثله في الرد علي ما ينكره المخاطب أو يشك فيه.

(١) والمُنْبَتُّ : هو المنقطع في سفره قبل وصوله ، فلا سفرًا قطع ، ولا ظهره الذي يسير عليه أبقى حتى يمكنه السير عليه بعد ذلك ؛ بل هو كالمقطع في المفاز ، فهو إلى الهلاك أقرب ، ولو أنه رفق براحلته واقتصد في سيره عليها لقطعت به سفره وبلغ إلى المنزل . يُنظر فتح الباري لابن رجب (١/١٣٦-١٣٩).

«فإن المنبت» تقدير الكلام في هذا: فإنك إن أوغلت فيه بغير رفقٍ أهلكت نفسك وانقطعت، فتكون كالمنبت؛ لا أرضاً قطع، ولا ظهرًا أبقى، وبهذا يكون تشبيهًا بليغًا لحذف أداه التشبيه فيه، وهو تشبيه تمثيلي ضماني، شبهت فيه هيئة المتشدد الذي يضعف نفسه بالعبادة حتي ينقطع عنها بهيئة المنبت في إضعافه دابته وعدم وصوله إلي مبتغاه، والجامع عدم إدراك المقصود فيهما.

«لا أرضاً قطع ، ولا ظهرًا أبقى» قدّم النبي ﷺ المفعول للإهتمام بنفي الفعل عنه ، لأنه هو المقصود من فعله ، ولكنه لم يصل إليه بسوء تدبيره .

وقد يُقال إذا كان التشدد في الدين مذمومًا ؛ فهل يمدح التساهل فيه ؟!

والجواب: أنّ الممدوح هو التوسط بين التشدد والتساهل؛ لأنّ هذا هو السبيل الذي سلكه الإسلام في كل تشريعاته ، وبهذا جاء دينًا وسطًا؛ لا إفراط ولا تفريط، ولا تشديد ولا تساهل.

والاستقراء الفعلي للشريعة يؤكد أنّ الشريعة مبناها على  
جلب مصالح العباد في الدارين.

إنّنه منهج واقعي، وسطي، متوازن، هذا النهج الواقعي،  
الوسطي المتوازن، ينقلك إلى أعلى مراتب الإيمان .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا  
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ  
شَهِيدًا﴾ [البقرة/١٤٣].

وحت علي التوازن في حياة المسلم فقال تعالى : ﴿وَابْتَغِ  
فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا  
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص/٧٧]، وقال ﷺ :  
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة  
١٨٥].

فينبغي ألا نستهيّن بهذه الشريعة لكونها يسر ولا عسر؛  
وذلك لأنّ اليسر سر الكمال والجمال ودليل الاتفاق  
والاتساق بين فطرة الله التي فطر الناس عليها وبين  
الشريعة الربانية التي ارتضاها الله تعالى للناس.

أما التعقيد فيه فمنشأه الاصطدام بين الفطرة والشرائع المتعسفة، الشرائع والقوانين التي وضعها البشر والتي تبعد بهم كثيرا عن حقيقتهم التي فطرهم الله عليها.

إنَّ الإسلام هو دين الفطرة وهذا هو المنشأ الأول والأكبر ليسره، قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم 3/].

فاليسر صفةٌ ملازمةٌ لهذه الشريعة نزلت بها من عند الله، نزلت من عند الله سهلة يسيرة لا عسر فيها ولا حرج. كل ما فيها من عزائم ورخص وكل ما فيها من أوامر ونواهي وكل ما فيها من واجب ومستحب ومباح ومكروه ومحرم، وكل ما فيها من تكاليف ينبني عليها الثواب والعقاب، كل هذا جاء من عند الله هينا لا شدة فيه، جاء من عند الله متفقا مع فطرة الإنسان، جاء من عند الله داخلا فيطوق الاحتمال ودائرة الوسع والطاقة، لا يخرج عن قدرة الإنسان ولا ينافي فطرته ولا يصطدم بغرائزه

وحاجاته الطبيعية جاء ملبيًا لحاجة الروح وحاجة الجسد في تناسق وشمول وبأسلوب مهذب نظيف.

هذا هو المعنى الحقيقي لليسر.

أمَّا أن نفرط في دين الله، ونترك الواجبات، ونقع في المحرمات، ثم نقول باستهانة أو جهل أو لا مبالاة "الدين يسر" فهذا هو التلاعب بدين الله، وهذا هو التشويه الذي يأخذ الأقدام أخذًا شديدًا عن صراط الله المستقيم<sup>(١)</sup>.

ولهذا يقول الإمام ابن القيم رحمته الله: " فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحِكْمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحٌ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا؛ فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ الْعَدْلِ إِلَى الْجُورِ، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَى ضِدِّهَا، وَعَنِ الْمَصْلَحَةِ إِلَى الْمَفْسَدَةِ، وَعَنِ الْحِكْمَةِ إِلَى الْبُعْثِ؛ فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ أُدْخِلَتْ فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ؛ فَالشَّرِيعَةُ عَدْلٌ لِلَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَرَحْمَةٌ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَظُلْمٌ فِي أَرْضِهِ، وَحِكْمَةٌ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ وَعَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم أَتَمَّ

(١) جزء من مقالة: إجلاء حقيقة يسر الإسلام، للدكتور/ عطية عدلان،

بموقع شبكة الألوكة #\_ftn1/57579/0/culture/0/57579/#\_ftn1

دَلَالَةٌ وَأَصْدَقُهَا، وَهِيَ نُورُهُ الَّذِي بِهِ أَبْصَرَ الْمُبْصِرُونَ، وَهُدَاهُ  
الَّذِي بِهِ اهْتَدَى الْمُهْتَدُونَ، وَشِفَاؤُهُ التَّامُّ الَّذِي بِهِ دَوَاءُ كُلِّ  
عَلِيلٍ، وَطَرِيقُهُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي مَنْ اسْتَقَامَ عَلَيْهِ فَقَدْ  
اسْتَقَامَ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

فَهِيَ قُرَّةُ الْعُيُونِ، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ؛ فَهِيَ بِهَا  
الْحَيَاةُ وَالْغِدَاءُ وَالِدَّوَاءُ وَالتُّورُ وَالشِّفَاءُ وَالْعِصْمَةُ، وَكُلُّ خَيْرٍ  
فِي الْوُجُودِ فَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْهَا، وَحَاصِلٌ بِهَا، وَكُلُّ نَقْصٍ  
فِي الْوُجُودِ فَسَبَبُهُ مِنْ إِضَاعَتِهَا، وَلَوْلَا رُسُومٌ قَدْ بَقِيَتْ  
لَحَرِبَتْ الدُّنْيَا وَطُوي الْعَالَمُ، وَهِيَ الْعِصْمَةُ لِلنَّاسِ وَقِيَامُ  
الْعَالَمِ، وَبِهَا يُمَسِكُ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا، فَإِذَا  
أَرَادَ اللَّهُ ﷻ خَرَابَ الدُّنْيَا وَطَيَّ الْعَالَمَ رَفَعَ إِلَيْهِ مَا بَقِيَ مِنْ  
رُسُومِهَا؛ فَالشَّرِيعَةُ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ هِيَ عَمُودُ  
الْعَالَمِ، وَقُطْبُ الْفَلَاحِ وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (١).

(١) إعلام الموقعين ١٢/٣ للإمام ابن القيم.

وقال الشاطبي في الموافقات<sup>(١)</sup>: " وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْعِبَادَاتِ  
وُضِعَتْ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ  
وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ " اهـ.

وقال أيضاً<sup>(٢)</sup>: " وَالْمُعْتَمَدُ إِنَّمَا هُوَ أَنَا اسْتَقْرَيْنَا مِنْ  
الشَّرِيعَةِ أَنَّهَا وُضِعَتْ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ اسْتِقْرَاءً لَا يُنَازَعُ فِيهِ  
الرَّازِيُّ وَلَا غَيْرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي بَعْثِهِ الرُّسُلَ وَهُوَ  
الأَصْلُ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى  
اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء/ ١٦٥] ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا  
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧]."

ويقول العلامة د/ عبد الكريم زيدان **رحمته**: " فقد وُجِدَ  
بالاستقراء أن مصالح العباد تتعلق بأمرٍ ضروريةٍ أو  
حاجيةٍ أو تحسينيةٍ، فالأولى هي التي لا قيام للحياة بدونها،  
وإذا فاتت حَلَّ الفساد، وعمت الفوضى، واختل نظام  
الحياة، وهذه الضروريات وهي: حفظ الدين والنفس  
والعرض والعقل والنسل والمال.

(١) الموافقات ٣٢١/١ للإمام الشاطبي .

(٢) المصدر السابق ١٢/٢ .

والحاجيات هي التي يحتاج إليها الناس ليعيشوا بيسر وسعة، وإذا فاتتهم لم يختل نظام الحياة ولكن يصيب الناس ضيق وحرَج.

وأما التحسينيات، فهي التي تُجَمِّل الحياة بمحاسن العادات ومكارم الأخلاق، وإذا فاتت لم يختل نظام الحياة، ولم يصب الناس بحرَج، ولكن تخرج حياتهم عن النهج الأقوم.

والشريعة جاءت أحكامها لتحقيق وحفظ الضروريات والحاجيات والتحسينات وبهذا حفظت مصالحهم.

فأما الدين فقد سُرع لإيجادها النكاح وسُرع لحفظها القصاص ولزوم دفع الضرورة وغير ذلك.

وأما النسل فقد سُرع لحفظه عقوبة الزنى والقذف وتحريم الإجهاض... إلخ.

والعقل سُرع لحفظه تحريم الخمر وتحريم الخوض فيما يلبس بمقدور له... إلخ.

والمال شرع لتحصيله أنواع المعاملات وشرع لحفظه  
حرمة أكل أموال الناس بالباطل، والحجر على السفية...  
إلخ.

هذه هي الضروريات. أمّا الحاجيات شرعت لها الرخص  
عند المشقة وفي التحسينيات شرعت الطهارة وستر العورة  
وأخذ الزينة عند كل مسجد والتحلي بمكارم الأخلاق  
ومحسن العادات.

فاستقراء الشريعة يدل على أنّ الشارع ما قصد بتشريعه  
إلا حفظ هذه الضروريات والحاجيات والتحسينات، وهذه  
هي مصالحهم<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، أ.د/ عبد الكريم زيدان ص  
٤٧-٤٩، وانظر كذلك الموافقات ٣٢٤/٢ وما بعدها.

(١٠)

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ »<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«يُسْرٌ» اليسر ضد العسر؛ أي سهل لا شدة فيه .

«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ» فهو دينٌ ميسور لكل من اعتنقه، وعرف شرائعه وعباداته، والمناهج والسنن التي أبدعها الله تعالى، وأنزلها لعباده الذين خلقهم وعرف قدراتهم قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج/٧٨]، وقال أيضًا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن/١٦].

وثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»<sup>(٢)</sup>.

ولذا كانت هناك معايير لمن أراد أن يستكمل دينه ويعمل بكل ما أمر به، وهو أن تكون لديه القدرة

(١) رواه الإمام البخاري (٣٩) .

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨) ، مسلم (١٣٣٧) .

والاستطاعة أولاً، ثم يعمل بها ما يُريد من تكاليف وسنن في نفسه دون أن يرغم أحداً علي عملها أو ينسب إليه التقصير في أداء العبادات وعمل الصالحات .

ويسر الدين ليس تبعاً للهوى، بل هو تبع لما جاءت به الشريعة. قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا \* يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء/٢٧، ٢٨].

وقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة/١٨٥].

وقال ﷻ في وصف رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة/١٢٨]<sup>(١)</sup>.

(١) وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يشق عليه، ويعنته، ويحرجه كل أمر يشق على أمته، ويعنتها، أو يحرجها، وهو حريص على أمته، حريص على جلب المصالح لها، ودفع المفسد والمساوي عنها.

وقال في صفته في التوراة والإنجيل: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف/١٥٧].

قال الشاطبي رحمته الله: " إِنَّ الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع" (١).

وما جعله الله ديناً للعباد ليس فيه مشقة؛ ففي الطهارة مثلاً يستخدم الماء في غسل الأعضاء؛ لكن إذا فقد الماء أو تعذر استعماله يُستبدل به التيمم، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء/٤٣].

فالشارع لا يقصد أبداً إعنات المكلفين أو تكليفهم ما لا تطيقه أنفسهم، فكل ما ثبت أنه تكليف من الله للعباد فهو داخل في مقدورهم وطاقتهم (٢).

ومن هنا كان علي المسلم ألا يُشدد علي نفسه ويقسوا عليها في أداء الأعمال حتي يظل مقبلاً علي الله دائماً ولا يصيبه الملل والسأم الذي يتحول إلي كراهية وفتنة في الدين.

(١) الموافقات للشاطبي ٣٤٠/١.

(٢) انظر عودة الحجاب ٣/٣٣٩، لمحمد اسماعيل المقدم.

ولذلك قال النبي ﷺ للصحابي الجليل معاذ بن جبل **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** حين أطال القراءة في الصلاة «يَا مُعَاذُ، أَفْتَانُ أَنْتَ»-أو «أَفَاتِنُ»- ثلاثَ مِرَارٍ: «فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضَحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ»<sup>(١)</sup>.

فعلي المسلم إذن أن يعمل ما عليه من الفرائض وأن يسدد ويقرب من الكمال، ثم بعد ذلك يستبشر ويتفائل بما أعده الله رب العالمين له **﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** \* الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿ [آل عمران/١٧١، ١٧٢].

«وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ» المشادة: المغالبة، وتكون بالتعمق في الدين.

«فَسَدُّوا» المقصود الزموا الصواب والقصد في العمل من غير تفريطٍ ولا افراطٍ.

(١) رواه البخاري (٧٠٥)، ونحوه مسلم (٤٦٥).

وتسديد العمل يكون بسلوك القصد فيه من غير ميل  
إلى الإفراط أو التفريط ، وإنما هو قوام بين ذلك.

«وَقَارِبُوا» اعملوا الأقرب من العمل الكامل ؛ ومن لم  
يبلغ التمام قاربه .

فإن لم يستطع المكلف التسديد في العمل لعجز كمرض  
أو عذر طارئ قاهر أو نحوه فعليه أن يُقارب الكمال بقدر  
ما يستطيع، وهناك البشارة لهم إن كانوا مسددين أو  
مقاربين بالفوز العظيم .

«وَأَبَشِرُوا» أمرٌ بالبشارة بالشواب علي صالح العمل،  
والبشارة تكون فيما يجب ويسر، وقد تكون للتوبيخ  
كقوله تعالى في شأن الكافرين : ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل  
عمران/٢١].

«وَأَسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ» البكرة، فيقال: بكر المسافر  
وأبكر وابتكر وتبكر. وفي الحديث: «بَكَّرُوا بِالْإِفْطَارِ،  
وَأَخَّرُوا السَّحُورَ»<sup>(١)</sup>.

«وَالرَّوْحَةَ» السير بعد الزوال .

(١) حديث حسن لغيره أخرجه ابن عدي (٦/ ٣٢٣) .

«وَشَيْءٌ مِّنَ الدُّلْجَةِ» - بضم الدال وفتحها ، واسكان اللام ، علي وزن فعله - سير الليل كله . وأدلجوا أي ساروا في آخر الليل.

«وَأَسْتَعِينُوا بِالْعُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِّنَ الدُّلْجَةِ» أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل.

قال ابن القيم رحمته الله: ويؤخذ من قوله «وَأَسْتَعِينُوا بِالْعُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِّنَ الدُّلْجَةِ»؛ الإستعانة على طاعة الله بالأعمال في هذه الأوقات الثلاثة<sup>(١)</sup>. اهـ

وعبر صلى الله عليه وسلم في دلجة بالتبعيض؛ لأنَّ عمل الليل أشق من عمل النهار.

وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافر، وكأنه صلى الله عليه وسلم خاطب مسافرًا إلى مقصدٍ فنبهه على أوقات نشاطه؛ لأنَّ المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعًا عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة.

(١) مدارج السالكين، للإمام ابن القيم (٢/٤٩٥).

وحسن هذه الاستعارة أنّ الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلى الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة<sup>(١)</sup>.

فيطلب من المسلم تنظيم العمل وأدائه بكيفية مقبولة وذلك في التسديد والمقاربة ، ثمّ إلي تنظيم الوقت فيكون هناك وقت الراحة للاستعانة به علي أداء العمل وذلك يكون بالليل الذي هو لباس للناشط العامل ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبا/١٠]، أمّا الأوقات التي ذكرت في الغدوة والروحة وشيء من دلجة فهي أوقات النشاط والحيوية ، وتكون فيها العبادة والقرب إلى الله تعالى ، ويؤدي فيها المسلم عبادته علي أكمل وجه .

وقد ورد في حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ

(١) بتصرف من فتح الباري ١/٩٥ ( ٣٩ ) لابن حجر.

بِرَحْمَةٍ، سَدُّوْا وَقَارِبُوْا، وَاعْدُوْا وَرُوْحُوْا، وَشَيْءٌ مِّنَ الدُّلْجَةِ،  
وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوْا»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ، فَسَدُّوْا وَقَارِبُوْا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ: إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ»<sup>(٢)</sup>.

فالعَمَلُ القَلِيلُ الدَائِمُ الَّذِي يَحُوْطُهُ الإِخْلَاصُ وَالِاتِّقَانُ  
جَزَاؤُهُ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ .

وَالرَّفْقُ فِي أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ مَطْلُوبٌ حَتَّى لَا يَمِلَ الْمَرْءُ  
وَتَهْبِطَ عَزِيمَتُهُ فَيُصِيبُهُ الْفَتُورُ، فَعَلِي الْمُسْلِمُ أَنْ يَطْلُبَ  
الْكَمَالَ إِذَا كَانَ قَوِيًّا قَادِرًا عَلَيْهِ، أَمَّا إِذَا كَانَ غَيْرَ قَادِرٍ  
فَلِيَقْرَبِ الْعَمَلَ وَلَعَلَّهُ يَصِلُ إِلَى الْكَمَالِ أَوْ يَقَارِبُهُ.

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٢) رواه البخاري (٥٦٧٣).

وعليه أن يستغلَّ الأوقات التي يكون فيها نشاطه  
موفورًا يهيئه للعمل الصالح فيها.

فالإسلام لا يريد القسوة للمسلمين. وأحسن الأعمال  
أدومها وإن قلَّ.

## (١١)

عَنْ حُدَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ والہ وسلم حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ التَّوَمَةَ فَتُقَبِّضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ التَّوَمَةَ فَتُقَبِّضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَانْفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصَى فَدَخَرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيُضْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجَلَدُهُ مَا أَظْرَفُهُ مَا أَعْقَلُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلِيٌّ زَمَانًا وَمَا أَبَالِي أَيْكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيُرِدَّنِي عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيُرِدَّنِي عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣) وهذا لفظ مسلم.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«وأنا أنتظر الآخر» قَدَّمَ الصحابيُّ الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه المسند إليه علي الخبر الفعلي؛ لإفادته تقوية الحكم، فيفيد أنه لا بُدَّ مِنْ حصول الآخر أيضًا.

«حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ..» فصلها عمَّا قبلها؛ لأنه تفصيل بعد إجمالٍ، فهو من باب الفصل لكمال الاتصال، ويجوز أن يكون لوقوعه جوابًا عن سؤالٍ مقدرٍ، كأن سألًا قال له: فماذا حدّثكم؟ فيكون من الفصل لشبهه كمال الاتصال.

وخصَّ الرجال بالذِّكر مع أنها نزلت في جذر قلوب النساء أيضًا؛ وهذا مِنْ باب الاكتفاء بأحد الجنسين عَنْ الآخر، فهو علي حدِّ قوله ﷺ : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل/٨١] أي والبرد.

ذكر قوله «ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ..» بعد نزول الأمانة في جذر قلوبهم؛ ليفيد أَنَّ الأمانة مع كونها فطرية في القلوب لا بُدَّ لها من شريعةٍ تبينها وتوضحها وتؤكددها وتزيد فيها ما يخفي مِنْ تفاصيلها.

«ثم حدثنا عَنْ رَفْعِ الأمانة» هذا هو الحديث الثاني الذي ينتظره حذيفة رضي الله عنه وهو رفع الأمانة أصلاً حتى لا يبقى إلا النادر، وهذا لم يدركه حذيفة، بل كان ينتظره، ولا يُنافي هذا ما ذكره في آخر الحديث مما يدل على أنه أدرك شيئاً قليلاً مِنْ رَفْعِ الأمانة جعله محتاط في المعاملة، ولا يبايع إلا مَنْ يُعرف بالأمانة، وكان جميعهم قبل هذا أمناء، فلم يكن محتاط في معاملتهم.

«ينام الرجل النومة» يجوز أن يكون النوم على حقيقته، والحقُّ أَنَّهُ مِنْ بَابِ الاستعارة؛ لأنَّه لا معنى لتقييد رفع الأمانة بحالة النوم، وإنما شبهت الغفلة عَنْ الطاعة بالنوم بجامع عدم الشعور في كل منهما، ثم استعير النوم للغفلة عَنْ الطاعة واشتق منه ينام بمعنى يغفل عَنْ الطاعة.

وقد أخذ النبي صلوات الله عليه وآله حصى ودحرجه على رجله؛ ليمثل المعقول بما يدركه الحس، وهذا مِنْ وسائل الإيضاح التي قررها علم التربية الحديث!!

«حتى يُقال» حتى ابتدائية بمعنى الفاء، ورواية البخاري: "فَيُقال".

«ما أظرفه ما أعقله» رواية البخاري - ما أعقله ما أظرفه ما أجده - فكل من الجملة الثانية والثالثة معطوف علي الأولى بحذف حرف العطف.

وقد يُقال : فما يفيد بقاء الرجل الأمين في حال رفع الأمانة؟!!

والجواب: أن هذا يجعل حديث رفع الأمانة موافقاً لحديث «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»<sup>(١)</sup>، ليكونوا شهداء علي الناس، ولا ينقطع الأمل في عودة الأمانة إلي أصلها، فيقوم مَنْ بقي محافظاً عليها بالدعوة إليها بينهم، ولا ييأس من إصلاحهم.

«ما أبالي أيكم بايعت» "ما" نافية، "أبالي" فعل مضارع، وفاعله أنا، "أيكم" اسم استفهام مفعول مقدم، "بايعت" فعل وفاعل، وقد علق الاستفهام أبالي عن العمل لفظاً فيما بعدها، والتقدير: وما أبالي جواب هذا الاستفهام.

(١) رواه الإمام مسلم ١٧٠ - (١٩٢٠).

(١٢)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ »<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسند «نِعْمَتَانِ» علي المسند إليه «الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» ؛ للتشويق إلي ذكر المسند إليه ؛ حتي يتمكن في ذهن السامع أفضل تمكني .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «مَغْبُونٌ» استعارة تبعية إن كان من الغبن بمعنى الخداع في البيع ، ويجوز أن يكون مجازاً مرسلأً عن الضرر اللازم للخداع لعلاقة اللزوم ، ويجوز أن يكون حقيقة إن كان من الغبن -بفتح الباء- وهو ضعف الرأي .

والاستعارة التبعية فيه بتشبيهه إساءة التصرف في نعمتين بالغبن في البيع .. ثم استعارة لفظ المشبه به للمشبه واشتقاق مغبون منه بمعنى مسيء التصرف .

وقد يُقال : كيف يكون الفراغ نعمة مع أنه بمعنى الخلو عن العمل ، وقد يكون نقمة !؟

(١) رواه البخاري في صحيحه ٨٨/٨ حديث رقم (٦٤١٢).

والجواب: أنّ الفراغ في الحديث لا يُراد منه حقيقته فقط ، وإنما هو كناية عن الاستغناء بالمال.

ولهذا قال ابن بطال : معني الحديث أنّ المرء لا يكون فارغاً حتي يكون مكتفياً صحيح البدن . اهـ<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ، أتري كثرة المال هو الغنى ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : فتري قلة المال هو الفقر ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب »<sup>(٢)</sup>.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : " و إنما يحصل غنى النفس بغنى القلب ؛ بأن يفتقر إلى ربه في جميع أموره ، فيتحقق أنه المعطي المانع فيرضى بقضائه ويشكره على نعمائه ، ويفزع إليه في كشف ضرائه ، فينشأ عن افتقار القلب لربه غنى نفسه عن غير ربه تعالى " <sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري (٢٧٣/١١) .

(٢) حديث صحيح، أخرجه ابن حبان (الإحسان ٤/٦١١ حديث رقم ٦٨٥).

(٣) يُنظر: فتح الباري (٢٧٣/١١).

وقيل : عدَّ بعض الصوفية كلا من الصحة والمال نعمة مع عده في الحديثِ نعمة ، فما حقيقة هذا القول؟!

والجواب: أنّ الصوفية يرون الإنسان مركب من نفس وجسم، وأنّ النفس هبطته إلى الجسم من عالمها الأعلى فحجبها عنه، ولا سبيل إلى وصولها إليه إلا باضعاف الجسم ليتمكنها التخلص منه. وبهذا عملوا علي اضعافه بالرياضة الشاقة من الجوع ونحوه مما يضعفه .

وقد جرهم هذا إلى ايثار عيشة الفقر حتي سموا أنفسهم " فقراء " ، وكان لهذا أسوأ أثرٍ في حياة المسلمين حينما نظروا إلى الصوفية علي أنهم المثل الأعلى في الإسلام .

والحق أنّ الإسلامَ ينظرُ إلى الفقر بخلاف نظر الصوفية إليه ، بل إن الفقر فيه يكاد يكون كفرًا ، وقد قال فيه بعض كبار الصحابة : " لو تمثل لي الفقر رجلاً ؛ لقتلته " .

قال ابن الجوزي رحمه الله <sup>(١)</sup> : فَمَنْ اسْتَعْمَلَ فِرَاغَهُ وَصَحَّتْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُوطُ. وَمَنْ اسْتَعْمَلَهَا فِي

(١) المصدر السابق .

معصية الله فهو المغبون؛ لأنَّ الفراغ يعقبه الشُّغل،  
والصِّحة يعقبها السُّقم، ولو لم يكن إلاَّ الهرم، كما قيل:

يَسْرُّ الْفَتَى طُولُ السَّلَامَةِ وَالْبَقَا \*\*

فكيف ترى طول السلامة يفعل

يَرُدُّ الْفَتَى بَعْدَ إِعْتَدَالِ وَصِحَّةِ \*\*

يُنُوءُ إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

(١٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «  
الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ،  
وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا  
تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا  
وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ  
عَمَلَ الشَّيْطَانِ»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

بمجرد قراءة الحديث لأول وهلة يتبادر إلى الذهن سؤال  
ألا وهو هل المفاضلة في الحديث الشريف بين القوة في  
الإيمان والضعف فيه، أو بين القوة الجسمية والنفسية  
والضعف فيهما!؟

والجواب: قيل إنَّ المفاضلة في الحديث بين قوة الإيمان  
وضعفه، ويُردُّ علي هذا القول أنَّ المفاضلة بينهما من  
البداهة بحيث يكون الإخبار بها لا فائدة فيه.

<sup>(١)</sup> رواه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٧٩) وغيرهما.

كما يُردُّ عليه أنه لا يصح معها قوله **كَلِمَةً عَلَيْهِ** : «وَفِي كُلِّ خَيْرٍ» لأنَّ ضعفَ الإيمان لا خير فيه وكذلك سياق الحديث إلى آخره.

والحق أنَّ المفاضلة في الحديث بين القوة الجسمية والنفسية والضعف فيهما، لأنَّ القوة الجسمية تدخل في القوة التي أمر الله **رَبِّهِ** الإعداد لها ، كما في قوله **حَمَلًا** : **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾** [الأنفال/٦٠] فلا معني للفرار من حمل الحديث عليها، ولا شك أنَّ شأن القوة النفسية - وهي الشجاعة - أعلي من شأن القوة الجسمية؛ فيحمل الحديث عليها أيضًا من باب أولي .

«المؤمنُ القويُّ»، «المؤمنُ الضَّعيفُ» أل في «المؤمن» هي أل الجنسية، فتكون القضية معها مهملة في قوة الجزئية، ولا يصح جعل أل فيهما استغراقية لتكون القضية كلها، لأنَّ المؤمن الضعيف قد يكون خيرًا وأحبُّ إلى الله من المؤمن القوي، وهذا إذا قام المؤمن الضعيف بما يجب عليه لديه بقدر ما يمكنه، لأنَّ الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها،

وإذا لم يقيم المؤمن القوي بما يجب عليه لدينه، فيكون المؤمن الضعيف في هذه الحالة خيرًا وأحب إلى الله تعالى منه .

«خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ» لم يقتصر النبي ﷺ على «خير» فقط؛ لأنَّ معني كونه خيرًا أنه أكثر خيرًا، ومعني كونه أحب أي أنه أكثر حبًا، والثاني «أحب» مترتبٌ على الأول «خير»، ولا يُستغني بأحدهما عن الآخر .

«وَفِي كُلِّ خَيْرٍ» ذكرها النبي ﷺ بعد تفضيل المؤمن القوي على الضعيف؛ لئلا نتغال في تفضيل الأقوياء حتي نعمل علي محو الضعفاء، كما كان يفعل أهل أسبرطة قديمًا، وكما يُغالي بعض الفلاسفة في التعصب للقوة حتي جعلوها فوق الحقِّ، لأنَّ كلا منهما له أعمال تناسبه في الدنيا، فلا يُمكن أن يستغني بأحدهما عن الآخر ، والإسلام مع تفضيله القوي على الضعيف يقف بجانب الضعيف حتي يأخذ له حقه من القوي، ولا ينكر ما له من حقٍ في الحياة كما تري بعض الفلسفات الخاطئة.

ألم تر إلي أبي بكر رضي الله عنه وقت أن ولي الخلافة خطب في الناس قائلاً : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِمُخَيِّرِكُمْ، فَإِنْ ضَعُفْتُ فَقَوْمُونِي، وَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، الضَّعِيفُ فِيكُمْ الْقَوِيُّ عِنْدِي حَتَّى أُزِيحَ عَلَيْهِ حَقُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ الضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّى آخِذَ مِنْهُ الْحَقُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَا يَدْعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالْفَقْرِ، وَلَا ظَهَرَتْ - أَوْ قَالَ: شَاعَتْ - الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّهُمْ الْبَلَاءُ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ، قَوْمُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» قوله صلى الله عليه وسلم «خَيْرٌ وَأَحَبُّ» خبر المبتدأ، وقد تنازعا المجرورين بعدهما، فأعمل الثاني وأضمر في الأول وحذف،

(١) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٣٣٦)، معمر بن رشد في جامعه (١٣١١).

وانظر البداية والنهاية ٢٤٨/٥ وقال ابن كثير: إسناده صحيح . والترغيب والترهيب للمنذري ٤١٠/١ (٧١٦).

والتقدير: خير إلي الله منه، ولو أعمل الأول أضمر في الثاني، وكان التقدير: وأحب إليه منه.

«إلى الله» بمعنى عند الله، كقول الشاعر:

أم لا سبيل إلي الشباب وذكره\*\*

أشهي إلي من الرحيق السلسل

«أحْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ» فصله النبي صلى الله عليه وسلم عما قبله؛ لما بينهما من كمال الانقطاع؛ لاختلافهما خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنى.

وهذه الجملة مرتبطة بما قبلها، والمعنى: احرص بقوتك علي ما ينفعك، وخذ فيه ولا تتردد، وهذا يتضمن الحث علي استعمال القوة الجسمية والنفسية فيما ينفع، لا فيما يضر.

«وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزُ» مرتبطة بأول الحديث أيضاً، ويراد بها الحث علي الاستعانة بالله عند الشعور بالعجز عن المضي فيما ينفع.

فيجب ترك اليأس والركون إلي العجز في هذه الحالة،  
وعليه أن يُجاهد بما يمكنه من قوة مستعينًا بالله تعالى  
ليمدّه بقوة علي قوته.

وَمَنْ ثَابِرٌ وَصَلَ إِلَى مَا يُرِيدُ، وَمَنْ يئسَ وَقَفَ فِي أَوَّلِ  
الطَّرِيقِ .

«وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزُ» موصولة بما قبلها للتوسط بين  
الكمالين؛ لأنهما اتفقا في الانشائية ووجد الجامع بينهما  
وهو الاتفاق في المسند إليه.

«وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ» للنهي عن العجز عند الوقوع في  
مصيبة من مصائب الدنيا، فيجب أن يتمسك الإنسان  
بقوته في المصيبة، ويعمل علي التخلص منها بقوة، فلا  
ييأس ويعتقد أنه فرط فيما أوقعه فيها، وأن ما فاته من  
ذلك لا يُمكن تداركه؛ لأنها وقعت بقدر الله تعالى وإن  
كان هناك تفريط، فيمكن التخلص منها بقدر الله أيضًا،  
ولا يصح اليأس من التخلص منها، ولا ترك العمل علي  
إزالتها.

«لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذًّا وَكَذًّا» " لو " شرطية ، وشرطها محذوف تقديره : لو ثبت أنني فعلت كذا ، " أن " وما بعدها في تأويل مصدر فاعل ثبت ، " كذا " مفعول به مبني ، " كان " جواب الشرط تامة ، " كذا " فاعلها مبني ، " كذا " – الثانية – معطوف عليه .

(١٤)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ  
بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ  
الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا» والغربة غُربتان ..

(١) غُربة البدن : بالبعد عن الأوطان، وفراق  
الأهل والخلان، وهي غُربة تُثير - ولا شك - عواطف  
الحنين دائماً، ومشاعر القلق والخوف في كثير من  
الأحيان، وفي درجاتٍ متفاوتة فيها الناس، وهي التي  
قال فيها الشاعر يخاطب الحمامة، وهي تنوح بجواره:  
أجارتنا يا إنا غريبان ههنا\* وكل غريبٍ للغريب نسيب  
(٢) غُربة الروح والفكر .. غُربة الغاية والوجهة ..  
غُربة العقيدة والسلوك .. وهذه هي الغُربة حقاً؛ فإنَّ  
صاحبها يعيش وحيداً وإن كان بين جماهير الناس،

(١) رواه الإمام مسلم (١٤٦).

مستوحشًا وإن ازدحمت من حوله المواكب، إنه يعيش  
بين الناس ولسان حاله يقول :

أنا في أمة تداركها الله \*\* غريب كصالح في ثمود<sup>(١)</sup>

هذه هي الغربة التي وصف النبي ﷺ أصحابها في هذا  
الحديث.

كيف بدأ الإسلام غريبًا؟! وكيف سيعود غريبًا كما  
بدأ؟!!

الجواب : قيلَ إِنَّ معناه أنه نشأ غريبًا في مكة حيث  
عاداه جمهور أهلها، فلا هم آمنوا به، ولا تركوا النَّاس  
يعتقونه، بل صدوا عنه، وحاربوا الله ورسوله، صابن  
الصاب والعلقم علي كل مَنْ آمن بهذا الدين، فنشأ ضعيفًا  
بينهم ، وسعودُ في النهاية إلي ضعفه كما بدأ ، ويؤيده قول  
النبي ﷺ بعده : «وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ  
الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا».

(١) يُنظر : في رحاب السنة، للعلامة د.يوسف القرضاوي، ص ٢١٣ .

وذهب الشيخ العلامة "محمد مصطفى المراغي" -شيخ الجامع الأزهر- **رحمه الله**، في مقدمته لكتاب: حياة محمد للأستاذ محمد حسين هيكل، إلى أنّ معنى الحديث: أنّ الإسلام ظهر بين قومٍ غرباء عنه وهم أهل المدينة بعد الهجرة إليهم ونصرهم له، وأنه سيعود في النهاية إلى الظهور بين قومٍ غرباء عنه يهديهم الله تعالى إليه. اهـ

ولا شكّ أنّ هذا المعنى -الذي ذهب إليه العلامة المراغي- يبعث الآن الأمل في عودة الإسلام إلى قوته بعد ما أدركه من ضعفٍ، ولا يوقع في اليأس من هذا كما يوقع فيه المعنى الأول، ولكنه يبعده قوله **رحمه الله** «وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا».

وفي رواية: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»<sup>(١)</sup>.

وقد يُحمل الحديث علي ما حدث عقب وفاة النبي **صلى الله عليه وسلم** من ارتداد العرب عن الإسلام، فقد ارتدّ جمهورهم عنه، لم يبقَ علي الإسلام إلا أهل المدينة وأهل مكة، فعاد الإسلام

(١) رواه الإمام مسلم (١٤٧).

غريبًا بهذا بين العرب كما بدأ إلي أن حاربهم سيدنا أبو بكر رضي الله عنه في خلافته، وأعادهم إلي الإسلام كما كانوا، ثم ما كان من فتحهم الممالك، وإظهارهم الإسلام في الخافقين، إلي أن أدركهم الضعف بتفرقهم وانحرافهم عن دينهم، ولا مانع من أن يعودوا إلي مثل ما كانوا عليه من القوة ويعود الإسلام إلي ما كان عليه من الظهور.

«إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا» أكد النبي صلى الله عليه وسلم الجملة للاهتمام بالخبر لغرابته بعد ما كان من ظهور الإسلام حين الإخبار به، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ قَدْ نَسِيَ هَذَا بَعْدَ طَوْلِ الزَّمَنِ عَلَيْهِ.

«وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»، «يعود» فعل مضارع يعمل عمل كان الناقصة، واسمه ضمير مستتر يعود إلي الإسلام، «غريبًا» خبره، والكاف جارة، وما مصدرية، وهي وما بعدها في تأويل مصدرٍ مجرور بالكاف، والمجرور والمجرور صفة لمحذوف والتقدير: عودًا كائنًا كالبدء.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم «وَسَيَعُودُ» آثر النبي صلى الله عليه وسلم السين علي "سوف" ؛ للإشارة إلي قرب زمن عودته إلي غربته، وهذا

يؤيد حمل الحديث علي ما حدث عقب وفاة النبي ﷺ من ارتداد العرب عن الإسلام. فكما هي سنة الله في كونه، كل شيء يتغير، فلا يبقى شيء علي حاله، فدوام الحال من المحال.

فهذا الدين الذي قوي وانتشر وعم الآفاق، سئويه غربة في آخر الزمان، وسيصبح أهله غرباء.

«وَهُوَ يَأْرِزُ» وصله النبي ﷺ بما قبله للتوسط بين الكمالين ، لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعني ، ووجود الجامع وهو الاتفاق في المسند إليه .

«بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ» أُل للعهد العلمي، والمراد بهما مسجد مكة ومسجد المدينة - علي ساكنها أفضل الصلاة والسلام -.

«كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا» تشبيه تمثيلي، شبهت هيئة الإسلام في تجمعه في المدينة ومكة بعد انتشاره منهما بهيئة تجمع الحية في جحرها بعد انتشارها منه، بجامع الانتشار والتجمع فيهما .

**تتمة :**

جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «  
بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى  
لِلْغُرَبَاءِ»<sup>(١)</sup>.

قوله صلى الله عليه وسلم : «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» طوبي مبتدأ، وسوغ  
الابتداء به علي أنه صفة لموصوفٍ محذوف، أي حياة طيبة،  
وقيل علم لشجرة في الجنة، «لِلْغُرَبَاءِ» خبره .

«طوبي» وزنها فعلي -بضم الفاء-، وأصلها طيبي -بضم  
الطاء- فقلبت الياء واوًا لوقوعها بعد ضمة، وإنما كان  
أصلها طيبي؛ لأنها من طاب يطيب.

وجملة «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» خبرية لفظًا إنشائية معني، لأنه  
يُراد منها الدعاء.

طوبي لهؤلاء المتمسكين بحبله، المتشبثين بذيله،  
المتعلقين بأهدابه، الذين لا يُفِرطون في دينهم، ويقبضون  
عليه وإن كان قبضًا علي الجمر.

<sup>(١)</sup> رواه الإمام مسلم (١٤٥).

طوبي للغرباء .. ومعني الطُوي: أي الفرحة وقرّة العين  
والغبطة والسرور، تنتهي بالجنة، طوبي للغرباء ..  
ولكن !! مَنْ الغرباء !؟

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ  
الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء"،  
قيل: وَمَنْ الغرباء؟، قال: "التُّزَاع من القبائل"<sup>(١)</sup>.

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال  
رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: "طوبى للغرباء"، فقيل:  
مَنْ الغرباء يا رسول الله؟، قال: "أناسٌ صالحون، في أناسٍ  
سوءٍ كثيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَطِيعُهُمْ"<sup>(٢)</sup>.

وجاء في حديثٍ آخر، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَرْفُوعًا  
«أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغُرَبَاءُ» قِيلَ: وَأَيُّ الْغُرَبَاءِ؟ قَالَ:

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد (٣٧٨٤)، وغيره .

(٢) حديث صحيح رواه الإمام أحمد (٦٦٥٠)، والطبراني في الأوسط (٨٩٨٦)  
، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦١٩).  
والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٢٧٨، وقال: "رواه أحمد والطبراني  
في الأوسط، وقال: أناس صالحون قليل، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف".

«الَّذِينَ يَفْرُونَ بِدِينِهِمْ ، يَجْتَمِعُونَ إِلَى عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرِّيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ »، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْغُرَبَاءِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

ولا تناقض ولا اختلاف بين هذه الروايات فكلها أوصاف مشيرة إلى حقيقة هؤلاء الناس، ومعبرة عنهم، كل حديث منها يُشير إلى صفةٍ من صفاتهم، فهي تتكامل ولا تتناقض.

ولذلك ذكر شيخ الإسلام "إسماعيل الهروي" في كتابه "منازل السائرين" في بابِ العُرْبَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود/١١٦].

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١٥١٣).

(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب ١٣٨/٢ (١٠٥٢، ١٠٥٣).

وعقب علي ذلك العلامة ابن القيم بقوله : استشهداً بهذه الآية في هذا الباب يدل على رُسُوخِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَفَهْمِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْغُرَبَاءَ فِي الْعَالَمِ هُمْ أَهْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِينَ يُضِلُّحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء هم الغرباء، هم الممدحون المغبوطون، ولقلتهم في الناس سموا غرباء؛ إذ أن أكثر الناس علي غير هذه الصفات .

الناس مشغولون بدنياهم؛ وهؤلاء مشغولون بدينهم.

الناس مشغولون بالفرار إلي الخلق، وهؤلاء يفرون إلي الحق؛ ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات/٥٠].

الناس يعملون لأموراً تافهة، وهؤلاء يعملون لإحساء سنة النبي ﷺ، ويعلمون الناس؛ لهذا كانوا غرباً بين الناس.

(١) انظر مدارج السالكين ١٨٤/٣ للإمام ابن القيم .

فأهل الإسلام في الناس غُرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غُرباء، وأهل العلم في المؤمنين غُرباء، وأهل السنة الذين يميِّزونها مِنَ الأهواء والبدع فيهم غُرباء، والداعون إليها الصابرون علي أذي المخالفين هم أشدُّ هؤلاء غُربةً. لكنهم كما قال عنهم - بحق - العلامة ابن القيم: " أهل الله حقًا" <sup>(١)</sup>.

فلا غُربة عليه، وإنما غُربتهم بين الأكثرين، الذين قال الله فيهم ﴿وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام/١١٦].

أولئك هم الغُرباء من الله ورسوله ودينه، وغُربتهم هي الغُربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم، كما قال القائل:

وليس غريباً مَنْ تناءتْ ديارُهُ\*\*

ولكن مَنْ تناينَ عنه غريبٌ

(١) مدارج السالكين ١٨٦/٣ للعلامة ابن القيم.

ويُروى أنّ موسى **عليه السلام** حينما خرجَ فارًّا من قوم فرعونَ انتهى إلى مدين، علي الحال التي ذكر الله، وهو وحيد .. غريب .. خائف .. جائع .. فقال : يا رب، وحيد مريض غريب، قالوا : فنودي : يا موسى، الوحيد مَنْ ليس له مثلي أنيس، والمريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس بيني وبينه معاملة<sup>(١)</sup>.

(١) مدارج السالكين ١٨٧/٣ للعلامة ابن القيم.

(١٥)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، قَالَ : «أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَالِدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

كرر الحديث التعبير بـ «ألا» ليفيد التأكيد والتنبيه للأمر الذي يلقي وذلك في أول الحديث، وبعد التفصيل وشرح أمثلة من المسؤولية ختم بما بدأ به ليزيد التأكيد تأكيداً بقوله «ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤلٌ عن رعيته» فرد العجز على الصدر للبيان والتأكيد.

وفي هذا تأكيد على أن الإسلام دين العمل والجد، يهيب بأفراده أن يكونوا جادين عاملين لا خاملين ولا كسالي؛

(١) رواه البخاري (٧١٣٨) ، ومسلم (١٨٢٩) ، وغيرهما .

حتى يقوم كل منهم بواجبه وبمهمته فلا يتنصل منها، وإنما يكون مسئولاً أمام الله وأمام المجتمع عن كل عملٍ يُرجع إليه فيه، ويُحاسب عليه، ويُري أقصر في عمله وأهمل أم أبعث ولم يُهمل؟! حتى تنهض أمور المجتمع وتقوي مرافقه وتنشط لخدمة أفرادها ولكل وجهة هو موليتها.

في الحديث تفصيل بعد الإجمال لما قال النبي ﷺ «أَلَا كُنتُمْ رَاعٍ وَكُنتُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» أجمل في هذه العبارة ، ثم أخذ يفصلها بقوله ﷺ «فالإمام، والرجل، والمرأة، وعبد الرجل».

«أَلَا كُنتُمْ رَاعٍ» الراعي هو الحافظ الأمين والسياسي المدبر، الحامي السائس الماهر.

«فالإمامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ»

الإمام هو الرئيس والحاكم فيقال: هو إمامهم، وهم أئمتهم، وهو أحق بإمامة المسجد، وبأمة المسجد، وهو يؤم قومه وهم يأتون به، وهو من أمهات الخير: من أصوله ومعادنه.

والظاهر تسميته بـ«الإمام» لأنه يُؤم من الناس عند حاجتهم ويُقصد.

فمن الناس مَنْ يصلح لرئاسة الأعمال وتصريف شئون الناس فيراقب أعمالهم ما أبدعوا فيه أو قصروا، ويُحاسب كل متخاذلٍ أو متوانٍ مقصر حتى يجتهد في عمله، ويخدم وطنه ويراقب ربه، ليأتي عمله بالثمار المطلوبة .

«وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»

فالرجل يجلب لأهله المنافع التي تكفل لهم السعادة في حياتهم، ويجنبهم المفسد والشور التي تعطلهم أو تسبب لهم الضياع والفسل، وعليه أن يراقب أعمالهم ويوجههم التوجيه المحمود، وقبل ذلك كله عليه أن يؤدبهم بأدب الإسلام ويلزمهم بأحكامه وسلوكه كما قال ربنا ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم/٦].

«وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ»

فهي مسئلة عن الانفاق والتدبير، وعن الأدب والتعمير، وخصوصًا البنات فأمهن مسئلة عنهن في تهذيبهنّ وطبعهنّ بطابع الأدب الإسلاميّ وصقلهن بصقال المؤمنات اللاتي يعرفنّ حقوق الله وحقوق الأزواج في مستقبل أيامهنّ.

«وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ»

سواء كانت هذه الرعاية في زراعة أو تجارة أو شراء ما يلزم البيت من مأكولات وغيرها، فهو مسئول أمام الله عن تلك الأمانة التي حملها وعمل فيها ويحاسب علي تقصيره أمام سيده في الدنيا وفي الآخرة بين يدي الله في يوم الحساب الذي يؤاخذ فيه كل إنسان بذنبه ويحمل وزره وحده.

«أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»

دلالة علي أنّ ما سبق إنما كان علي سبيل المثال لا الحصر، فأبي فرد من أفراد المسلمين مسئول عما استرعاه الله بداية من الإمام الراعي الكبير علي أحوال الناس، إلي

الخادم والعبد الذي يقوم علي شئون صغيره للأسره في خارج البيت وداخله.

ولهذا جاء عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع؟ »<sup>(١)</sup>.

«فَكُلُّكُمْ رَاعٍ» فيه إيجاز حذف فيه الشرط، وتقديره: إذا علمتم ذلك «فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

(١) حديث صحيح؛ أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٤٩٢).

## ①٦

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية : «لَا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا نَوْءَ وَلَا صَفَرَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي أخرى : «لَا عَدْوَى، وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا غُولَ»<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري (٥٧٠٧).

«لا عدوى» مؤثرة بذاتها وطبعها وإنما التأثير بتقدير الله تعالى والعدوى سراية المرض من المصاب إلى غيره. وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا يتسبب أحد بعدوى غيره.

«لا طيرة» هو نهى عن التطير وهو التشاؤم.

«هامة» هي الرأس واسم لطائر يطير بالليل كانوا يتشاءمون به. وقيل كانوا يزعمون أن روح القتيل إذا لم يؤخذ بثأره صارت طائرا يقول اسقوني اسقوني حتى يثأر له فيطير.

«صفر» هو الشهر المعروف كانوا يتشاءمون بدخوله فنهى الإسلام عن ذلك.

«المجدوم» المصاب بالجذام وهو مرض تتناثر فيه الأعضاء.

[انظر تعليق الشيخ مصطفى البغا علي صحيح البخاري].

<sup>(٢)</sup> رواه مسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>(٣)</sup> رواه مسلم (٢٢٢٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه =

وفي أخري: «لَا عَدَوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ الصَّالِحُ  
: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ»<sup>(١)</sup>.

وفي أخري قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا عَدَوَى وَلَا صَفَرَ  
وَلَا هَامَةَ» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ  
فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الطُّبَاءُ، فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرُبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا  
فَيُجْرِبُهَا كُلَّهَا؟ قَالَ: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟»<sup>(٢)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«لَا عَدَوَى» : "لا" نافية للجنس، و "عدوي" اسمها،  
والخبر محذوف تقديره موجودة عند من ينكرها، أو مؤثرة  
بذاتها عند من يثبتها، وهذا هو الحق، وإنما يريد النبي

= ((ولا غول)) قال جمهور العلماء : كانت العرب تزعم أنّ الغيلان في  
الفلوات ، وهي جنس من الشياطين فتتراءى للناس وتتغول تغولا أي  
تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم فأبطل النبي ﷺ ذلك وقال  
آخرون ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول وإنما معناه إبطال ما تزعمه  
العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها قالوا ومعنى لا غول أي لا  
تستطيع أن تضل أحدا.

[انظر تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي علي صحيح مسلم].

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري (٥٧٥٦) ومسلم (٢٢٢٤).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري (٥٧١٧) ، ومسلم (٢٢٢٠).

ﷺ أن ينفي ما كان في الجاهلية من سخافات في العدوي وما ذكر معها، لأنهم كانوا يُبالغون في الفزع من العدوي، ويجهلون أنها بقدر الله ﷻ فتنهار نفوسهم عند حدوث الأمراض المعدية، مما يُساعد علي سرعة انتشارها، إذ تضعف به مقاومتهم لها، ولا يعرفون كيف يعملون علي منع انتشارها معه، فأراد النبي ﷺ أن يحملهم علي الاعتدال في أمرها، حتي لا يُدركهم اليأس، ولا يعملوا علي منع انتشارها، فكأنه ﷺ قال: لا فزع من العدوي؛ لأنها بقدر الله، فمن شاء أصابته ومن شاء نجا منها، فيجب الاطمئنان فيها، ولا يصح الفزع منها إلي ذلك الحد.

«وَفِرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ» وصله بما قبله مع أنه إنشاء وما قبله خبر؛ لأنّ قوله ﷺ «لَا عَدْوَى» خبر لفظًا إنشاء معني، لأنّ المراد منه النهي عن اعتقادات الجاهلية في هذه الأمور.

فالوصل بين الجملتين للتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع؛ لاتفاقهما في الانشائية مع وجود الجامع بينهما وهو الاتفاق في المسند إليه .

وقد يُقال: فهل يجوز للخاصة -أهل الرسوخ في الإيمان أو التوكل على الله- مخالطة المجذومين مع الأمر بالفرار منهم؟!

والجواب: إن تكاليف الشرع عامة للخاصة وغير الخاصة، فلا محابة لأحدٍ علي أحدٍ في هذه التكاليف، وقد فرَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الطاعون وهو من أولئك الخاصة.

فلا يجوز مخالطة المجذومين ونحوهم إلا لمن يعالجهم من الأطباء والممرضين ، لأنهم يحتاطون للعدوي وليسوا كغيرهم.

أتبع النبي صلى الله عليه وسلم قوله «لَا عَدْوَى» بقوله «وَفَرَّ مِنْ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفَرُّ مِنَ الْأَسَدِ» ليفيد أنّ نفي تأثير العدوي بذاتها لا يمنع من توقيها؛ لأنها سبب في الظاهر لانتقال الأمراض المعدية ، وهذا يكفي في أمر الشارع بالتوقي منها؛ لأنّ التكاليف الشرعية تجري على الأسباب الظاهرة ، أمّا تأثيرها بذاتها وعدمه فمرجعها إلى العقيدة.

قوله **صلى الله عليه وسلم** «فَمَنْ أَعَدَى الْأَوَّلَ؟» لا ينفي العدوي، بل هو كقوله «لَا عَدْوَى» لا يُرادُ منه إلا نفي تأثير العدوي بذاتها. وقد يُقال لماذا نفي التشاؤم مع أنه كان يتفاعل ويجب الفأل الحسن ولا تأثير له كالتشاؤم؟!

والجواب: ليس التشاؤم كالتفاؤل؛ لأنَّ المتشائم تتنغص حياته بالتشاؤم، أمَّا المتفائل فإنه يسعد في حياته، ولا يضيق بها كما يضيق المتشائم، وإنما كان النبي **صلى الله عليه وسلم** يحب الفأل الحسن لأنه حسن الأثر في النفس، لا لأنه يعتقد تأثيره كما يعتقد المتشائم فيما يتشاءم به.

وقد ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ **صلى الله عليه وسلم** فَقَالَ : «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»<sup>(١)</sup>.

«فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظَّبَاءُ»، «مَا» اسم استفهام خبر مقدم، «بَالُ الْإِبِلِ» مبتدأ مؤخر، «تَكُونُ» فعل مضارع تام، وفاعله ضمير الإبل، «فِي

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أبو داود (٣٩١٩).

الرَّمْلِ» متعلق به، «كَأَنَّهَا الظَّبَاءُ» حال؛ أي مشبهة لها،  
ويجوز أن يكون خبرًا لتكون علي كونها ناقصة.

## (١٧)

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ أُجْرَيْنِ بَعْدَهُمْ فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمَلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا، وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالَا: لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمَلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا، مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَأَبَيَا، وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا؛ فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ »<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري (٢٢٧١).

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

التشبيه في الحديث تشبيه تمثيلي، شبهت فيه هيئة الأمم الثلاث بهيئة أقوام أجراء، بجامع أن كلا هيئة منتزعة من متعدد.

قدّم النبي ﷺ المسلمين في أول الحديث؛ لأنهم أفضل من غيرهم، وآخرهم عند التفصيل لتأخر زمانهم.

«يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ» المراد باليوم النهار بقريته قوله ﷺ «إِلَى اللَّيْلِ»؛ فهو مجاز مرسل، من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء.

قيل: كيف يقولون «وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ» وهو لا يوافق حال اليهود والنصاري؛ لأنهم يعتقدون أنهم علي حق؟!

والجواب أنه كان كثير من اليهود والنصاري بعد ظهور الإسلام يعرفون الحق ويعاندون، وقد نزل غيرهم منزلهم لوضوح الحق أمامهم.

فصل النبي ﷺ قوله «أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ» عن قوله «لَا تَفْعَلُوا»؛ لما بينهما من كمال الاتصال.

ووصل النبي ﷺ قوله «أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا» لما بينهما من التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع لاتفاقهما في الإنشائية مع وجود الجامع وهو الاتفاق في المسند إليه.

قال النبي ﷺ «أَكْمَلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ» ولم يقل " أكملوا بقية عملكم"؛ لأنَّ العمل كان لمن قبلهم فلا يُسند إليهم. «حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ»؛ إذا قُرِيء «حين» - بالرفع - فكان تامة بمعنى حضر وحين فاعل لها، وإذا قُرِيء - بالنصب - فهي ناقصة واسمها محذوف، والتقدير: حتى إذا كان الحين حين صلاة العصر.

لم يقل النبي ﷺ للذين أتوا أخيراً «ولكم الذي شرطت لهم من الأجر» كما قال لمن قبلهم؛ لأنهم يقابلون المسلمين في التشبيه، وهم يعملون من غير أن ينظروا إلي أجرٍ لكمالهم، أو للإشارة إلي أنه يجب أن يكون هذا شأنهم في النظر إلي ما كلفوا به من العمل.

«أَنْ يَعْملُوا» "أَنْ" وما بعدها في تأويل مصدر مجرور  
بجرف جر محذوف، والتقدير: فاستأجر قومًا للعمل بقية  
يومهم .

⑸

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُلْدَغُ  
الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ» قوله صلى الله عليه وسلم «يُلْدَغُ» فيها روايتان؛ رواية  
بالكسر وأخرى بالرفع .

فعلي الكسر تكون «لا» ناهية و «يُلْدَغُ» مجزوم بها  
وحرّك بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين، وعلي رواية  
الرفع تكون «لا» نافية.

وعلي كون «لا» ناهية تكون الجملة «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ»  
إنشائية لفظًا ومعني، وعلي كون «لا» نافية تكون الجملة  
خبرية لفظًا إنشائية معني.

ونكتة العدول عن الإنشاء إلى الخبر؛ الحث علي سرعة  
الامتثال لئلا يلزم تكذيب المتكلم.

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨).

«لَا يُلَدِّغُ الْمُؤْمِنُ» يصح جعلها خبرية لفظًا ومعني؛  
بجمل المؤمن علي المؤمن الكامل في الإيمان؛ لأنَّ الخبر لا  
يتخلف معه، وإلا لم يكن إيمانه كاملاً.

«يُلَدِّغُ» الكلام هنا علي سبيل المثال، وفيه استعارة  
تمثيلية شبه فيها هيئة من يقع في المحذور مرتين بهيئة من  
يلدغ من جحر مرتين، ثُمَّ استعير لفظ المشبه به للمشبه .

في قوله ﷺ «الْمُؤْمِنُ» إذا جُعِلت الجملة انشائية لفظًا  
ومعني أو معني فقط ف (أل) فيه للجنس الشامل للمؤمن  
الكامل وغيره، وإذا كانت الجملة خبرية لفظًا ومعني ف  
(أل) فيه للعهد والمعهود المؤمن الكامل.

وهل معني المؤمن في الحديث معني المسلم أو غيره؟!

المؤمن اسم فاعل من الايمان وهو التصديق بالقلب ،  
أمَّا " المسلم " فهو اسم فاعل من الإسلام وهو الاقرار  
باللسان .

والمؤمن في الاصطلاح غير المسلم، ولكنَّ هذا يتعين  
فيهما عند اجتماعهما، كما في قوله تعالي : ﴿قَالَتِ  
الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا

**يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴿ [الحجرات / ١٤] ، فإذا افترقا  
كما في الحديث كان معني المؤمن هو معني المسلم  
وبالعكس، وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان معاً.

«مَرَّتَيْنِ» قُيِّدَ بالمرتين لأنه إذا لم يصح أن يُخدع مرتين  
لم يصح أن يُخدع في أكثر منهما من باب أولي .

ولكن لا يصح أن يُهمل ويترك الحذر في المرة الأولى  
، ولكنه قد يجتهد فيها ويُخطئ ؛ فيُعذر في خطئه فيها ، ولا  
يُعذر فيه إذا عاد إليه مرة ثانية .

وقد يُقال: هل هذا الحديث يُخالف ما جاء في حديثٍ  
آخر «المؤمن غر كريم ، والمنافق خب لئيم»<sup>(١)</sup> لأنَّ الغرة  
الغفلة!؟

والجواب: أنَّ الغرة في حديث «المؤمن غر كريم» ليست  
هي الغفلة، وإنما جاء "غر" فيه وصفاً للمؤمن مقابلاً  
لوصف المنافق بـ "خب"، والخب: المخادع الذي يُبطن

<sup>(١)</sup> رواه أبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤)، وأحمد (٣٩٤/٢) (٩١٠٧) ،  
والبخاري في الأدب المفرد (٤١٨) .

خلاف ما يُظهر، فيكون معني كون المؤمن غرًّا أنه طيب  
النفس غير مخادع، فلا يبطن خلاف ما يُظهر.

(١٩)

عَنْ سَمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيْقَتِهِ تُذْبِحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِغِ ، وَيُسَمَّى ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ» <sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

قوله صلى الله عليه وسلم «مرتهن» من الرهن وهو الحبس والمنع، وفي رواية «رهينة»<sup>(٢)</sup>، فالرهينة هي الرهن والهاء للمبالغة، كالشئمة والشم، ثم استعملت بمعنى المرهون .

«بعقيته» العقيقة مشتقة من العق، وهو القطع، وأصلها الشعر الذي يكون علي رأس المولود حين يولد .

وسميت الشاة التي تُذبح عنه في ذلك الوقت عقيقة؛ لأنه يُحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح، وهذا من تسمية الشيء باسم ما كان معه أو من سببه .

<sup>(١)</sup> رواه الترمذي ( ١٥٢٢ ) ، النسائي ( ٤٢٢٠ ) ، أبو داود ( ٢٨٣٧ ) ، ابن

ماجة ( ٣١٦٥ ) ، وغيرهم .

<sup>(٢)</sup> رواه أبو داود ( ٢٨٣٧ ) .

فالعقيدة إمّا مشتقة من العق والقطع؛ لأنه يشق حلق  
الذبيحة، وهذا ما رجحه ابن عبد البر، والهروي، وابن  
الأثير. وإمّا نسبة إلي الشعر الذي يخرج علي رأس المولود  
من بطن أمه.

وقوله **كُلُّ غَلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيَّتِهِ** معناه أنّ  
العقيدة لازمة للشخص لا بُدَّ منها، فشبهه في لزومها له  
وعدم انفكاكه منها بالرهن في يد المرتهن. ولفظة «كل» إذا  
أضيفت إلي نكرة أفادت العموم، فتشمل الذكر والأنثى.

### ولم شرعت العقيدة!؟

شُرعت لحكم وأسباب منها ما هو ظاهر جلي ومنها ما  
هو باطن خفي، وليس جهلنا بحكمة الشيء دليلاً علي أنه  
لا حكمة له؛ وإنما دليل علي جهلنا وقلة علمنا، ومن  
حكّمها (الظاهرة) :-

١/ أنّ الإسلام يؤمن بالتآلف الإجتماعي، وتأكيد  
العلاقات الأخوية بين المسلمين، وسلك في ذلك طُرُقاً؛  
فشرع العطايا والهدايا والهبات والأضاحي.

وهذه وسيلة لنشر المودة والمحبة بين الناس.

٢/ معروف أنّ هدف الزواج هو التناسل حفاظًا علي النوع البشري، وامتنان الله علينا بالبنين والحفدة، وهذه نعمة تستوجب الشكر؛ فشرعت العقيدة إظهارًا للبشر والفرح والسرور، وإبرازًا للنعمة، ونشرًا للنسب، وترسيخًا للإيمان .

٣/ العقيدة تعني شكر المنعم ﷺ علي ما وهب .

٤/ وفيها أيضًا الطلب لسلامة المولود .

### حكم العقيدة :

اتفقت المذاهب الإسلامية علي مشروعية العقيدة ، ولكنهم اختلفوا في حكمها علي أقوالٍ :-

١/ ذهب مالك والشافعي وأحمد إلي أنها سنة مستحبة استحبابًا مؤكدًا . لما ورد في بعض الروايات «مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عَنْهُ فَلْيَنْسُكْ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاءٌ»<sup>(١)</sup> . وفي لفظٍ : «مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عَنْ وَلَدِهِ فَلْيَفْعَلْ»<sup>(٢)</sup> . ووجه ذلك أنّ

(١) رواه أبو داود ( ٢٨٤٢ )، النسائي ( ٤٢١٢ )، أحمد ( ٦٨٢٢ ) .

(٢) أخرجه مالك ( ٥٠٠ / ٢ ) .

الرسول ﷺ علق العقيقة علي الأحيية ، والواجب لا يُعلق علي شيء. ومن هذا قول مالك "إنها سنة واجبة، يجب العمل بها"، وهو لم يرد الوجوب الذي يَأثم بتركه، وإنما أراد بالوجوب التأكيد علي قاعدته في وجوب السنة. وكذا لأنها إراقة دم من غير جناية، ولا نذر كالأضحية فلم يجب .

٢/ ذهب أهل الظاهر إلي أنها واجبة . بدليل ورود الأمر بها كما جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْعَقِيقَةِ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاءً». وفي رواية أخرى عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «عَلَى الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ وَعَلَى الْجَارِيَةِ شَاءً لَا يَضُرُّكُمْ ذُكْرَانًا كُنَّ أُمَّ إِنَاءًا»<sup>(١)</sup>.

وكذلك للتعبير بكلمة «مرتهن» ؛ حيث شبهه في لزومها عليه وعدم انفكاكه منها بالرهن في يد المرتهن .  
وما وردَ من أن الناس يعرضون علي العقيقة كما يعرضون علي الصلوات الخمس .

(١) رواه أبو يعلي في مسنده ٤٦٤٨، وإسحاق بن راهويه ١٢٩٠.

٣ / ذهب الليث بن سعد إلى القول بوجوبها في السبع الأول؛ فإن فاتت لم تجب بعد السبع، ( ولم يقم علي هذا دليل ).

٤ / ذهب الأحناف إلى القول ببدعية العقيدة وإنكارها.

واستدلوا لذلك بحديث سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْعَقِيْقَةِ؟ فَقَالَ: «لَا أَحِبُّ الْعُقُوقَ»، وَكَأَنَّهُ إِنَّمَا كَرِهَ الْإِسْمَ<sup>(١)</sup> ، وكذا بحديث «نَسَخَ الْأَضْحَى كُلَّ ذَبِيحٍ ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ كُلِّ صَوْمٍ، وَالْعُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ كُلِّ غُسْلٍ ، وَالزَّكَاةُ كُلُّ صَدَقَةٍ»<sup>(٢)</sup>.

وقد أجيب علي الحديث الأول أَنَّ النبي ﷺ إنما كره الاسم فقط ، وليس الذبح .

وكان من عادته ﷺ تغيير الاسم القبيح إلى الحسن.

علي أنه ليس في الحديث نفسه تصريح بأن النبي ﷺ نفسه قد كره الاسم ، وإنما هذا من فهم الراوي ولم يجزم .

(١) رواه مالك ٥٠٠/٢ (١٤٤١)، أحمد (٦٨٢٢، ٢٣١٣٤، ٢٣٦٤٣، ٢٣٦٤٤).

(٢) رواه الدارقطني في سننه ٥ / ٥٠٦ ( ٤٧٤٧ ) وهو حديثٌ ضعيفٌ ففيه الْمُسَيَّبُ بْنُ وَاضِحٍ ، وهو ضعيف ، وَالْمُسَيَّبُ بْنُ شَرِيكٍ وهو متروكٌ.

أو كان رسول الله ﷺ إنما ذكر قوله «لَا أُحِبُّ الْعُقُوقَ» عند ذكر العقيقة لئلا يترسل السائل في استحسان كل ما اجتمع مع العقيقة في الاشتقاق ، فبين له النبي ﷺ أَنَّ بعض هذه المادة محبوب وبعضها مكروه، وهذا من الاحتراس الحسن، وإنما سكت عنه في وقتٍ آخر لحصول الغرض بالبيان الذي ذكره في هذا الحديث، أو بحسب حال المخاطبين في العلم وضده ، فيبين للجاهل ويسكت للعالم. ولعله كان مع عبد الله بن عمرو رضي الله عنه "راوي الحديث" من احتاج إلي البيان لأجله، فإنَّ عبد الله صاحب علم وفقه وفهم .

وأجيبَ علي الحديث الثاني الذي خرَّجه الدارقطني في سننه بأنَّه حديثٌ ضعيفٌ لا تقوم به الحجة؛ لأنَّ في سننه راويين متروكين.

٥/ ذهب الحسن إلي أنَّ العقيقة مشروعة عن الغلام دون الجارية مستدلاً بقوله ﷺ : «كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ» .

ورد علي الحسن بأن كلمة ( كل ) أضيف إلي نكرة فشملت الذكر والأنثي ، وأطلقت هنا من باب التغليب .

والذي يترجح لنا بعد عرض هذه الآراء أنها سنة مؤكدة جمعًا بين الأدلة دون العمل ببعضها وترك البعض الآخر ، فالجمع أفضل .

وهل قوله صلى الله عليه وسلم «تَذْبِحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ» علي سبيل الأفضيلة أو التعيين؟!

ظاهر الحديث أنّ الذبيحة عن المولود تكون يوم سابعه. وقد ورد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن الحسن والحسين رضي الله عنهما يوم السابع من ولادتهما.

وقد اختلف العلماء في ذلك علي ثلاثة أقوالٍ :-

١/ أنّ الذبيحة عن المولود يوم السابع من الولادة علي سبيل الاستحباب. وبهذا قال الشافعية والحنابلة. وقد ورد في سنن البيهقي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي

قال: «العقيقة تذبح لسبع ولأربع عشرة ولا إحدى وعشرين»<sup>(١)</sup>.

٢/ أنها مؤقتة بيوم السابع فلا تذبح قبله ولا بعده، بل تفوت. وهذا قول مالك. غير أن للمالكية آراء أخرى غير هذا الرأي.

٣/ أنها لا تجزئ قبل السابع، ولا تفوت بفواته، فتذبح بعده متى أمكن. وهذا رأي ابن حزم؛ لأنها عنده فرض ولا بد من فعلها ولو قضاء.

وقد اختلف العلماء هل يُحسب يوم الولادة منها أو لا؟! والأصح والأظهر أنه يُحسب، وقال مالك: لا يُحسب، وعند الشافعية خلاف.

وقد يُقال: هل تسقط العقيقة بمرور الزمن؟!

والجواب: أنه إذا لم يقم ولي الأمر من أب، أو كفيل بالذبح عن المولود؛ فإن آخرها حتى بلغ سقط حكمها في حق غير المولود. والمرء بعد ذلك مخير في العقيقة عن نفسه.

(١) سنن البيهقي ٩ / ٣٠٣ (١٩٠٧٦).

وقد ورد بهذا حديثٌ ضعيفٌ أنّ النبي ﷺ عَقَّ نفسه بعد النبوة، أخرجه البيهقي، وقال: منكر لا يثبت<sup>(١)</sup>.

قوله ﷺ «تُدْبِحُ» فيه دلالة علي جواز أن يعق عن المولود شخص أجنبي، وذلك لأن الفعل مبني للمجهول.

ومما يؤيد ذلك أنّ النبي ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين، في وجود الوالدين.

ومال الشافعية إلى القول بأنه إنما يعق عن المولود من تلزمه نفقته من مال العاق، لا من مال المولود<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع التفصيل في طرح التثريب ٥ / ٢٠٩.

(٢) وأجاب الشافعية علي فعل الرسول ﷺ بما يلي :-

- أنه ثبت في بعض الروايات أنّ الرسول ﷺ أبوهما.
- أو أنهما طلبا من النبي ﷺ أن يفعل ذلك؛ فتبرع النبي ﷺ بعد أن أذنا له.
- أو أنهما أعطياه ما عَقَّ به.
- أو أنهما كانا معسرين فيكونان في نفقة جدهما رسول الله ﷺ.
- أو يكون ذلك من خصائصه ﷺ؛ أنّ له التبرع عمن شاء من أمته، كما ثبت أنه ضحي عمن لم يضح من أمته.

في قوله ﷺ «وَيُسَمَّى» دلالة علي تسمية المولود يوم السابع؛ وقد سمي النبي ﷺ الحسن والحسين ﷺ يوم السابع<sup>(١)</sup>.

وجاء عند الترمذي بسنده عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، أن النبي ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه ووضع الأذى عنه والعق<sup>(٢)</sup>.

ولهذا ذهب جمهور الفقهاء إلى أن تسمية المولود تكون يوم سابعه، وذهب بعضهم إلى جواز أن تكون التسمية قبل السابع أو بعده، ولكن التأخير إلى السابع أحسن.

فَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي عنه، قَالَ: «وُلِدَ لِي غُلامٌ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ، فَحَنَنْكُهُ بِتَمْرَةٍ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إِلَيَّ»، وَكَانَ أَكْبَرَ وَلَدِ أَبِي مُوسَى<sup>(٣)</sup>.

(١) كما ورد في حديث أم المؤمنين عائشة رضي عنها فيما أخرجه الحاكم في مستدرکه ٤ / ٢٣٧ (٧٥٨٨).

(٢) رواه الترمذي ٤ / ٤٢٩ (٢٨٣٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٣) رواه البخاري (٥٤٦٧)، ومسلم (٢١٤٥).

وبوب البخاري في صحيحه "بَابُ تَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ عَدَاةَ يُوْلَدُ، لِمَنْ لَمْ يَعُقَّ عَنْهُ، وَتَحْنِيكِهِ"، وكأنه رحم الله يريد التفرقة بين مَنْ لم يعق عنه، وَمَنْ يعق عنه .

فمن لم يرد أن يعق عنه لا يؤخر تسميته إلي يوم السابع، كما حدث في واقعة أبي موسى الأشعري رضي عنه، وَمَنْ أُريدَ أن يعق عنه تؤخر تسميته إلي يوم العقيقة.

في قوله صلى الله عليه وسلم «وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ» دلالة علي مشروعية حلق رأس المولود، وقد وردت روايات في ذلك وبصيغ مختلفة.

وهل الذكر كالأنثي في هذا!؟

الظاهر نعم.

وحكي عن المارودي كراهة حلق رأس الجارية.

ويُحلق جميع الرأس لا بعضه لنهيه صلى الله عليه وسلم عن القزع كما جاء في حديث ابن عمر رضي عنهما.

وقد وردت بعض الروايات التي تُشير إلي التصديق بزنة الشعر فضة، وأغلب هذه الروايات روايات ضعيفة رواها

الإمام مالك والبيهقي، وأكثر الطرق -رغم ضعفها- تُشير إلى التصدق بالفضة، وليس في شيء منها الذهب<sup>(١)</sup>.

وقد ثبت حديثٌ موقوفٌ علي ابن عباس رضي الله عنهما وفيه ذكر الذهب، وحكم عليه العلماء بأنَّ رجاله ثقات.

(١) راجع المجموع للنووي ٨ / ٤٣٣.

(٢٠)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمُ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الدُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ

أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ  
غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

أول ما يُلاحظ في هذا الحديث هو تقسيمه إلى فقراتٍ وأنَّ كل فقرة تبدأ ببدء الحق جَلَّ وتقدس لعباده، وتحديثهم عن نعمة من نعمه عليهم، ثُمَّ إِنَّ كل الفقرات حُذِثْ حذوًا وبُنِيَتْ علي منوالٍ واحد، وتكررت أكثر ألفاظها، وهذا يجعل حفظها ميسورًا جدًّا وكأن هذه الطريقة الميسرة للحفظ من حجب الله علي عباده، وأنَّ التيسير في أمور الدين كلها فهمًا وحفظًا وأداءً، وأنه يريد بنا اليُسْر، وأنه يسر القرآن للذكر، ويسر الحديث القدسي للحفظ. وقد تعلم رسول الله ﷺ ذلك، وكانت أحاديثه تُصاغ صياغة تُيسر حفظها. وكانت المعاني التي يُراد لها أن تشيع في الأمة وأن تكون أصلاً من أصول ثقافتها يُلاحظ فيها جانب التيسير هذا<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).

(٢) يُنظر: شرح أحاديث من صحيح مسلم - دراسة في سمت الكلام الأول - ، تأليف أ.د/ محمد محمد أبو موسى، (٢/٦٩٠ - ٦٩١) (بتصرف يسير).

«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي» الظلم : يُقال  
تظلمت منه إلي الوالي ، وعند فلان ظلامتي ومظلمتي -  
بكسر اللام - أي حقي الذي ظلمته ، والظلم ظلمة كما  
أنَّ العدل نور .

والله **عَلَّامٌ** مقدس ومنزه عن الظلم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ  
أَحَدًا﴾ [الكهف / ٤٩]، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل  
عمران / ١٨٢]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت / ٤٦]، ﴿وَمَا  
أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق / ٢٩].

ومعني ذلك أنَّ الذي يقع عليه الظلم يكون في حيرة  
وضباب فلا يكاد يُري ، وكأنَّه يعيش في ظلام الليل ، كما  
أنَّ الذي أَخَذَ حقه يستبشر بالحياة ويتفاءل بها فكأنه في  
ضياء النهار مهتد، و«الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>،  
فتقدس الذات الإلهية عن الظلم يُشبه الحرام في أنَّ كلا  
منهما ممنوع ومعدوم .

(١) رواه البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٧٩) .

«فَلَا تَظَالَمُوا» أصلها لا تتظالموا؛ فأدغمت التاء الثانية في الظاء فشددت أي لا يظلم بعضكم بعضاً<sup>(١)</sup>.

«وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا» فالأخوة الإسلامية تقتضي أن يُعطي كل مسلم الحق لصاحبه، ولا يظلمه شيئاً، فالظلم لشدة وطأته علي نفس المسلم ظلمات علي الظالم ومضايق ومزالق تعميه فلا يري ، لأن الجزء من جنس العمل .

ولذلك لا يرضي الله تعالى - الذي حرم الظلم علي نفسه - لعباده المؤمنين أن يظلم بعضهم بعضاً ويجور أحدهم علي حق أخيه فديننا الحنيف علمنا أن «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) والظلم بفتح الظاء: الريق، ويتكلم به في الغزل ومنه قول زهير:  
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت \* كأنه منهل بالراح معلول  
ومن المجاز أرض مظلومة حفر فيها بئر أو حوض ولم يحفر فيها قط، وظلم  
السقاء: شرب لبنه قبل الرءوب .  
(٢) رواه البخاري (٢٤٤٢) ، ومسلم (٢٥٨٠) .

«ضالٌّ» ضلَّ عن الطريق وعن القصد ، يضلُّ - بكسر الضاد - ويضلُّ - بفتح الضاد - والضلُّال ضد الهدى<sup>(١)</sup>.

ولأنَّ النفس الإنسانية تتجه للمعاصي كما تتجه للطاعات ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس/٧: ١٠].

والنفس بطبيعتها ميَّالة إلى الضلال ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف/٥٣].

والمعصوم من عصمه الله وهداهُ الله تعالى إلى طريقه المستقيم ومنهاجه السليم ، وأبعده عن الضلال والطغيان .

لذلك علي كل مسلمٍ أن يطلب الهداية من ربه ، ويسلك سبيلها ويمضي في طريقها ؛ «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» .

(١) ومن المجاز : ضلَّ في الدين وهو ضال ، وضليل - بكسر الضاد مع تشديد اللام - وصاحب ضلال وضلالة ، ووقع في أضاليل وأباطيل ، قد تمادي في أضاليل الهوي ، ووقعوا في وادٍ تُضللُّ - بضم التاء والضاد وكسر اللام المشددة - إذا هلكوا ، وفلان ضلُّ بن ضلُّ وقلُّ بن قلُّ - بكسر أو ثلها - أي لا يعرف هو وأبوه .

«يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي  
أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ،  
فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ» فكل الناس علي قوتهم وبعدهم عن  
الله تعالي جائعون؛ لأنَّ الله هو الذي يخلق لهم من النبات  
والحبوب وللحوم والألبان ما يسدون به جوعهم ويبعدون  
ضراوته عنهم.

ويستثني الحديث مَنْ أطعمه الله وهياً له أن يشبع من  
جوعٍ ولذلك كان علي الناس وهم جائعون أن يطلبوا من  
ربهم أن يطعمهم من جوع ويسقيهم من ظمأ.

ولا شك أن اشباع حاجة الجوع عند الإنسان احدي  
حاجاته التي لا يمكن أن يستغني عنها؛ وهي اشباع  
حاجة الجوع الملحة ، واشباع حاجة الظمأ التي لا يصبر  
الانسان عليها.

وكذلك الكساء ، وهو لا يمكنه أن يعيش بدونه وكذلك  
المأوي الذي يحمي الإنسان من الحر والبرد .

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ  
مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ

إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ \* وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿[النحل/٨٠، ٨١].

وهذه الأمور الأربعة قد ذكرت في سورة طه ضمناً لمعيشة آدم عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى \* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [طه/١١٨، ١١٩] أي لا تعرض للجو، وضحوة الشمس.

وقد يُقال: ولم اكتفي الحديث الذي معنا بحاجتين فقط، وهما اشباع الجوع والكساء الذي لا يستغني عنهما الإنسان؟!!

والجواب: أنّ الحديث كأنه اكتفي بذكر الجوع ( مع الدعاء لله أن يطعمه ) لأنّ الأكل يتبعه الشرب، واكتفي بذكر الكساء بدلاً من المأوي بجامع الحماية من الحر والبرد.

لذلك علي المسلم أن يدعو ربه ليكسوه من عري  
والإنسان دائماً في حاجة أن يلجأ إلي الله في شدته ،  
والجوع شدة والعري شدة .

وكان الله تعالي خلق الإنسان بلا كساء ثم كسا بعض  
الناس بعطائه الواسع وفضله الكبير؛ ولذلك ينبغي علي  
الناس أن يلجئوا إليه ويدعوه ليدفع عنهم غائلة العري .

وينادي رب العباد الناس مؤثراً النداء في كل أمرٍ بلفظ  
«يَا عِبَادِي» فقد وصفهم بالعبودية والخضوع لله تعالي ، ثم  
أضاف العباد إلي نفسه تشریفاً لهم .

والله تعالي خلق الإنسان لهدف العباداة ﴿وَمَا خَلَقْتُ  
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ \* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا  
أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا \* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾  
[الذاريات / ٥٦ : ٥٨]. فيناديهم أولاً مقررًا لهم أنهم يخطئون في  
حياتهم وسلوكهم فيها ليلاً ونهاراً والله تعالي غفورٌ رحيمٌ  
يقدر علي غفران الذنوب كلها ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا  
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/٥٣].

وما دام الخطأ محتملاً في العباد فلا يبعد صدوره عنهم ،  
والله غفور رحيم، فكان عليهم أن يطلبوا الغفران منه ﷺ.

ومهما تكتل عباد الله فكانوا علي قلب رجل واحد فلا  
يمكن لهم أن يبلغوا إلي أن يضرروا ربهم ، ولا يقدر  
علي أن يبلغوا ضره ، فهو القاهر فوق عباده.

ولو أنَّ الإنس والجن كانوا علي حال من التقوي  
والاخلاص واتفقوا علي هذا وكانوا في غاية من التقوي  
والاخلاص لله تعالي ، ما زاد ذلك في الكون شيئاً ؛ لأنَّ  
تقواهم نتائجها المثمرة في صالحهم هم .

وكذلك لو أنَّ الإنس والجن كانوا كفاراً فجاراً وتكاتفوا  
علي هذا الفجر والكفر ما نقص ذلك من مُلك الله شيئاً .

ولو اجتمعت الخلائق انسههم وجنهم في مكانٍ فسيح من  
الأرض وسع الخلائق كلهم ثم دعوا ربهم ، وكل يدعو بما  
يناسبه وحسب حاجته ، ثم أعطاهم كلا بحسب ما يريد ،  
ما نقص ذلك من ملك الله شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا  
أدخل البحر ثم أخرج ، فإنه لا ينقص البحر شيئاً من  
فيض مائه ولا زيادة أمواجه .

ثم يقرر الحديث أَنَّ الله ﷻ وحده هو الذي يحاسب عباده ويحصي أعمالهم ويسجل عليهم مسالكهم في حياتهم، ويُعطي كل إنسانٍ حسب عمله ويوفيه حقه.

ومن هنا كان الإنسان حسيب نفسه ، والحكم عليها بالضلال والخسران أو النجاح في الامتحان .

قال الله تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا | اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء/١٣، ١٤].

فإن قيل هل قوله : «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» يُنافي حديث «وَأِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»<sup>(١)</sup> ؟

قلنا: لا تنافي بين الحديثين؛ لأنَّ النفس الإنسانية تميل إلى الغواية والفساد الذي هو الضلال، فتكون ضالة مضلة ، ضالة في نفسها مضلة لغيرها ، إلا من عصمه الله تعالى عن الضلال ورزقه هداية واستقامة . وأمَّا حديث «وَأِنِّي

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم (٢٨٦٥) .

خَلَقْتُ عِبَادِي حُنْفَاءَ كُلَّهُمْ» أي أَنَّ ذلك في فطرتهم الأولى  
وحيلتهم التي خلقهم الله عليها؛ لأنَّ كُلَّ مولود يولد علي  
الفطرة وهي الاتجاه التلقائي إلي الدين وذلك مركز في  
طبعه، مصداقًا للحديث الشريف: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ  
عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا  
تُنْتَجِجُ الْبَهِيمَةَ بِهَيْمَةَ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»،  
ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ  
عَلَيْهَا﴾ الآية (١).

«صَعِيدٍ» يُقَالُ أَصْعَدْتُ السَّفِينَةَ أَي مَدَّ شِرَاعَهَا فَذَهَبَتْ  
بِهَا الرِّيحُ ، وَعَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ أَي اجْلِسْ عَلَي الْأَرْضِ ،  
وَصَعِيدُ الْأَرْضِ وَجْهَهَا .

«مَسْأَلَتُهُ» الْمَسْأَلَةُ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَسْئُولِ أَي حَاجَتُهُ الَّتِي  
يَسْأَلُهَا رَبَّهُ

«الْمِخِيْطُ» بوزن مفعول - بكسر فسكون - ففتح آلة  
الخطاطة.

(١) رواه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨، والآية من سورة الروم / ٣٠

«مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» تشبيه يفيد سعة ملك الله وعظمته .

وفي قوله «إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» حذف وتقديره " ثُمَّ خَرَجَ " ؛ لأنَّ اخراج المخيط من البحر نقص كما إنَّ وضعه في البحر زيادة .

ولك أن تتخيل ضالة هذه الزيادة أو قلة ذلك النقص .

وصف «رجل» بواحد للتأكيد وايضاح أنَّ الأمر صادر عن فرد قوي له تأثير .

كررت ألفاظ في الحديث وتعبيرات منها : «يَا عِبَادِي» ، «لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ» ؛ لتأكيد القدرة الإلهية والعظمة الربانية .

(٢١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ  
الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ  
عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ،  
فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا  
مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ» ما نافية، من الأنبياء جار ومجرور  
حال مقدم، من -الثانية- زائدة، نبي مبتدأ، إلا أداة  
استثناء، والجملة بعدها خبر المبتدأ.

قدّم النبي صلى الله عليه وسلم الحال علي صاحبه (ونص عليه مع  
إمكان الاستغناء عنه) للإهتمام بإفادة العموم وتأكيده.

زيدت «من» لتأكيد العموم أيضاً.

والإستثناء في الحديث استثناء مفرغ لحذف المستثني  
منه فيه .

<sup>(١)</sup> رواه البخاري (٤٩٨١) ، ومسلم (١٥٢) واللفظ له .

«مِثْلُهُ» إِمَّا أَنْ يَكُونَ زَائِدًا ، وَإِمَّا لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ كُلَّ مَا أُوتِيَهُ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْخَوَارِقِ الْحَسِيَةِ لَهُ مِثْلٌ وَصُورَةٌ ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ السَّاحِرُ أَنْ يُخَيِّلَ مِثْلَهَا ، فَيَحْتَاجُ التَّمْيِيزَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يُشَبِّهُهَا مِنَ السَّحْرِ إِلَى نَظَرٍ وَفِكْرٍ ، وَالنَّظَرَ عُرْضَةً لِلخَطَأِ.

لفظة «علي» في قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «عَلَيْهِ الْبَشَرُ» هي بمعنى الباء، والتقدير: إلا ما آمن البشر بمثله، أي به علي تقدير زيادة لفظ «مثل»، كقول الله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف/١٠٥] أي بألا أقول علي الله إلا الحق.

«البشر» أل هنا للعهد، والمراد البشر الذين أرسل إليهم.  
«وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا» الحصر هنا حصر إضافي من حصر الصفة في الموصوف، وإنما كان إضافيًا لأنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** له معجزات أخرى غير القرآن.

فهو حصر بالاضافة إلى ما أعطيه غيره من المعجزات، فلا يُنَافِي أَنَّ لَهُ مَعْجَزَاتٌ أُخْرَى غَيْرَهُ ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ لَا

معجزة له إلا القرن ، وعلي هذا الزعم يكون القصر حقيقياً.

وقد يُقال : لماذا رجا **صلى الله عليه وسلم** بما أوتيه أن يكون أكثرهم تابِعاً؟!

والجوابُ: لأنَّ معجزته **صلى الله عليه وسلم** بقيت في حياته وبعد مماته، فيؤمن الناس بها ما بقي من الزمن، بخلاف معجزاتٍ غيره لا نقطاعها بعد وقوعها ، فلا تُشاهد إلا حال وقوعها، ولأنَّها تشتبه بالسحر بخلاف القرآن، فإنَّه لا يشتبه بالسحر فيكون الإيمان به أكثر .

فإن قيل : كيف يكون أكثرهم تابِعاً مع أنَّ اليوم أتباع عيسي وموسي **عليهما السلام** مثلاً أكثر من أتباعه؟!

قلنا : إن تبعية كل نبي انقطعت بعد بعثته **صلى الله عليه وسلم**، لأنَّ رسالته عامة للبشر ، وشريعته ناسخة لكل الشرائع الأخرى، فلا يوجد الآن إلا أتباعه، وهم باقون إلي يوم القيامة بخلاف أتباع غيره .

وإن قيل: كيف يكون أكثرهم تابعًا مع ورود حديثٍ يفيد أنهم فيمن سبق قبلهم من الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود<sup>(١)</sup>؟!

قلنا: لا يريد النبي ﷺ أنه أكثرهم جميعًا تابعًا، وإنما يريد ﷺ أنه لا يبلغ أتباع أي واحد منهم ما يبلغ أتباعه.

ويجوز أن يكون قوله ﷺ: «إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ...» خطابًا للحاضرين في زمانه فقط.

(١) لما ورد عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ: يَا أَدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ»، قال: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَذَلِكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) " فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «أُبَشِّرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَظْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَظْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الْأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ». رواه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

**تتمة :**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

آثر النبي صلى الله عليه وسلم «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ» علي "والذي نفسي بيده"؛ لأنَّ في القسم الأول «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ» التفاتٌ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ.

وللالتفات نُكْتُهُ الْعَامَّةُ فِي الْبَلَاغَةِ، وَنُكْتَتُهُ الْخَاصَّةُ هُنَا إِظْهَارُ التَّوَاضُعِ فِي حَلْفِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، تَعْظِيمًا لِعَوِّ مَقَامِهِ. «مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ» الْأُمَّةُ الْمُرَادُ بِهَا أُمَّةُ الدَّعْوَةِ لَا أُمَّةُ الْإِجَابَةِ، وَأُمَّةُ الدَّعْوَةِ تَعْمُ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَأُمَّةُ الْإِجَابَةِ خَاصَّةٌ بِهِمْ.

«يَهُودِيٍّ» بَدَلَ مِنْ «أَحَدٌ» بَدَلَ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ، «وَلَا نَصْرَانِيٍّ» مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ.

<sup>(١)</sup> رواه الإمام مسلم (١٥٣).

ولماذا خصَّ اليهودي والنصراني مع أنَّ دعوته عامة  
لغيرهما؟!

خصهما لأنهما أهل كتاب، فإذا دخلا في دعوته صلى الله عليه وسلم  
وكانت رسالته عامة لهما؛ دخل غيرهما فيها من باب أولي .

(٢٢)

عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَذْكُرُ الْفِتْنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعُنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلٌ، قَالَ: تِلْكَ تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صلوات الله عليه يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُدَيْفَةُ: فَاسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ، قَالَ حُدَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَحِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

قَالَ حُدَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ، «أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ».

قَالَ عُمَرُ: «أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ».

قُلْتُ: «لَا بَلَّ يُكْسَرُ».

وَحَدَّثْتُهُ «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا  
لَيْسَ بِالْأَعْلِيَّطِ»<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

قد يُقال: كَانَ حذيفة ونفر يسألون رسول الله ﷺ  
عن الفتن دون جمهور الصحابة؛ فما السبب في ذلك؟!؟

فنقول: أمَّا حذيفة رضي عنه فكان يسأل عن الشر مخافة أن  
يصيبه والفتن كي يتجنبها، وكان جمهور الصحابة متفائلاً  
بما كانوا عليه من اتحاد الكلمة، ونصرهم علي أعدائهم، فلم  
يفكروا فيما فكر فيه حذيفة وذلك النفر.

وإن قيل: فلم كان رسول الله ﷺ يخص نفراً من  
أصحابه بحديث الفتن، ولا يُحدِّث به جمهور أصحابه؟!؟

قلنا: لأنَّ المصلحة كانت تقتضي ذلك باخفاء ما يكون  
من الفتن عنهم، حتى يستمروا فيما هم فيه من أملٍ بنشر  
الدين في الأرض، وإنشاء دولة قوية له تحميه من أعدائه،

<sup>(١)</sup> رواه مسلم (١٤٤).

فكان النبي ﷺ لا يُحدِّثُ بها إلا من يسأله عنها كحذيفة رضي الله عنه أو من ينتفع برأيه فيها كعمر رضي الله عنه علي أن يكونَ سرًّا لا يُذاع بين جمهورهم ، حتي لا يحدث بأسًا في نفوسهم ، قبل أن يصلوا في أملهم إلي غايتهم .

وإن قيل: فلم سألهم عمر عن الفتن مع أنه كان يعلمها؟

قلنا : ليحدِّثَ شوقًا في نفوسهم إلي سماعها، ولأنَّه قد يكون منهم مَنْ سمع منها أكثر مما سمع كحذيفة رضي الله عنه .

وإن قيل : لماذا شرع عمر رضي الله عنه في إذاعة هذه الفتن مع أنها كانت سرًّا عند من سمعها؟!

قلنا: لأنَّ المصلحة في إخفائها كانت قد انتهت بوصول المسلمين إلي غايتهم من إنشاء دولة قوية لهم في عهدِ عمر رضي الله عنه بل صارت المصلحة في اذاعتها لقرب وقوعها ؛ حتي يكونوا علي بينة منها، فيجتهدوا في أمرها، ويعرفوا ما نصحهم النبي ﷺ باتباعه فيها، مِنْ اعتزالها لمنْ يخاف عليه من اشتراكه فيها أن يؤثر عليه أصحابها، ومن محاربة أصحابها حتي يقضي عليها لمن لا يخاف عليه ذلك، وهذا الموقف الأخير منها هو أفضل المواقف فيها .

وإن قيل : من أين علم عمر رضي الله عنه أنهم يعنون فتنة الرجل في أهله وجاره ؟ ولماذا بادرهم بالإجابة ولم يتركها لهم ؟!

قلنا: علم عمر رضي الله عنه هذا من حالهم لأنهم لم يكونوا ممن يهنم بتلك الفتن أو يرجع إليه فيها ، وإنما كانوا من عامة الصحابة الذين خفيت عنهم، وإنما بادرهم بالإجابة، ولم يتركها لهم مؤاخذهً لهم علي عدم تراثهم في الإجابة، وعلي جهلهم بأن مثله لا يُسأل عن الفتن الصغيرة التي أجابوا بها، لأنها كانت معلومة للصحابة جميعاً .

وإن قيل : لماذا لم يبادر حذيفة رضي الله عنه بالجواب عن سؤال عمر رضي الله عنه أولاً ، وثانياً مع علمه بما يسأل عنه ؟!

قلنا: هذا شأن العالم الذي لا يغتر بعلمه، فلا يظن نفسه أنه أعلم من غيره، بل يتهم نفسه دائماً، ولا يبادر بالجواب عن السؤال؛ لأنه قد يكون في الحاضرين من هو أعلم به منه .

«فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ» "أنت" مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير : أنت سمعتها ؟ ، والجملة إنشائية حذفت منها

همزة الاستفهام، وهو استفهامٌ تعجبِيٌّ يُقصد منه التعجب من سماعه لها.

وكذلك قوله: «لِلَّهِ أَبُوكَ» جملة إنشائية تعجبية!

وقد يُقال: لماذا تعجب عمر من سماع حذيفة لحديث الفتن؟!

والجواب: لعله لأنَّ حذيفة رضي الله عنه لم يكن منَ المقدمين في الصحابة كعمر حتي يذكر له النبي صلى الله عليه وسلم حديث الفتن ليرجع إليه فيها.

وقد ذكر حذيفة أنَّ النَّاسَ كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير، وأنَّه كان يسأله عن الشر مخافة أن يدركه .

«تَمَوْجُ مَوْجِ الْبَحْرِ» استعارة تصريحية تبعيَّة ، شبه فيها تدافعهم في الفتن بموج البحر الذي يدفع بعضه بعضًا، واشتقَّ من الموج تموج ؛ بمعنى يدفع أصحابها بعضهم بعضًا.

«كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا» كالحصير جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الفتن ، أو صفة لموصوف محذوف أي

عرضًا كالحصير ، والأصل عودًا فعودًا، أو عودًا بعد عودٍ، وروي بفتح العين، فيكون مفعولاً مطلقاً ، أي تعود عودًا فعودوا أو عودًا بعد عودٍ ، وروي أيضًا بفتح العين والذال بدل الدال ، فيكون مفعولاً مطلقاً أيضًا ، والتقدير : نعود بالله منها عودًا فعودًا أو عودًا بعد عودٍ .

«عَلَى أْبَيْضَ» يدل بعض من كل من قوله «عَلَى قَلْبَيْنِ» .

«إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ» استثناء منقطع من قوله «لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا» فهو بمعنى الاستدراك والتقدير ولكن يعرف ما أشرب من هواه .

«أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا» استعارة تمثيلية ، شبهت فيها الهيئة المنتزعة من حياة عمر وقتله وحيلولة حياته دون الفتن وقيامها بقتله بالهيئة المنتزعة من باب مغلق علي قومٍ في دارٍ وحيلولته دون خروجهم منها ، وخروجهم منها بكسره ، ثم استعيرت هيئة المشبه به لهيئة المشبه .

«أَكْسَرًا لَا أَبَا لَكَ؟» كسرا مفعول مطلق لفعل محذوف، والتقدير أي كسر كسرًا؟، ولا نافية للجنس، وأبا اسمها منصوب بالألف نيابة عن الفتحة، واللام زائدة، والكاف

مضاف إليه والخبر محذوف تقديره: موجود، والإضافة غير محضة؛ لأنه لم يقصد نفي أب معين، وإنما هو دعاء بعدم الأب، وكل من يشبهه، أي لا ناصر لك، ويجوز أن يكون أبا اسمها علي لغة القصر فيكون مبنياً علي فتحةٍ مقدره علي الألف، والجار والمجرور خبر، أو صفة، وأجري الشبيه بالمضاف مجري المضاف فحذف تنوينه، والخبر محذوف.

وقد يُقال: هل كان سيدنا عمر رضي الله عنه يجهل أنَّ الباب سيكسر في الفتن؟!

والجواب: أنَّه يجوز أنَّ يجهل عمر هذا ويعلمه حذيفة رضي الله عنه؛ لأنه قد يوجد عند المفضل ما لا يوجد عند الفاضل، وعلي هذا يكون الاستفهام حقيقياً، ويجوز أنَّ يكون عمر عالماً بذلك أيضاً، وعلي هذا يكون الاستفهام تعجبياً.

(٢٣)

عن الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا »<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ»: مجاز من قائم علي الأمر، أي :  
دام وثبت .

«وَالْوَاقِعِ فِيهَا» معناه الواقع بسببها ، أي بسبب مخالفتها ،  
ف «في» سببية .

«مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ» تشبيه تمثيلي شبه فيه القائمين علي  
حدود الله عند تقصيرهم في وعظ الواقعين فيها وعدم

<sup>(١)</sup> رواه البخاري في صحيحه (٢٤٩٣).

تقصيرهم بهيئة من في أعلي السفينة ومن في أسفلها ؛ إذا أرادوا خرقها من الأسفل عند منهم لهم منه وعدم منعهم ، بجامع حصول النفع والضرر في الحالين .

«اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ»، قوله صلى الله عليه وسلم «عَلَى» إما أن تكون أصلية بمعنى لام التعليل أي اقترعوا لأجل قسمة السفينة، وإمَّا أَنْ تكون زائدة إذا كان استهموا بمعنى اقتسموا.

«لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا» «لو» يجوز أن تكون شرطية جوابها محذوف وتقديره: لكان حسنًا، أو يكون قولهم «وَلَمْ نُؤْذِ» هو الجواب، وتكون الواو زائدة، ويجوز أن تكون للتمني فلا تحتاج إلي جواب.

ولكنَّ المناسب لحال العصاة الذين مثلوا بمن في أسفل السفينة أن تكون «لو» شرطية لا للتمني؛ لأنَّ التمني يكون معه شعور باستحالة أو تعذر، والعصاة ليس عندهم مثل هذا الشعور.

ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك «فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا» لأنَّ الإرادة تقتضي الشروع في الفعل، بخلاف التمني الي

معه شعور بالاستحالة أو التعذر، فلا يكون فيه شروع في الفعل .

«فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ» : إن شرطية جوابها هلكوا، وضمير الرفع (الواو) عائد على أهل العلو في السفينة، وضمير النصب (هم) عائد على أهل السفلى .

«وَمَا أَرَادُوا» الواو بمعنى مع، و(ما) مصدرية أو موصولة، فعلى الأول يكون المعنى: وإرادتهم، وعلى الثاني يكون المعنى: والذي أرادوا.

«هَلَكُوا جَمِيعًا»، الواو في «هَلَكُوا» تعود على الفريقين معاً، و«جَمِيعًا» حال.

«نَجَّوْا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا»، الواو في «نَجَّوْا» الأولى عائد على الآخذين، وفي «نَجَّوْا» الثانية عائد على المأخوذين، كذا قال الكرمانى، وذكر البدر العيني أن الذي في الثانية عائد على الفريقين معاً، وهو ما يترجح لنا .

فإن قيل : لماذا لم يكرر «هَلَكُوا» كما كرر «نَجَّوْا»!؟

قلنا : لم يكرر «هَلَكُوا» للإشارة إلي أَنَّ كلا منهم له نصيبه فيما وقع لهم من الهلاك ، وكرر «نَجَوْا» للإشارة إلي أَنَّ نجاة الطائعين هي الأصل ، وَأَنَّ نجاة غيرهم تابعة لنجاتهم ، فضمير «نَجَوْا» - الأولي - لمن في أعلي السفينة فقط ، وضمير الثانية لهم جميعًا. لذلك فالمصلحة مشتركة، وسلامة المؤمنين كل لا يتجزأ، فإذا أخطأ بعضهم انسحب هذا الخطأ على الباقيين.

ولهذا قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال/٢٥].

ويشهد لهذا قوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْتَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»<sup>(١)</sup>.

«أَخْذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ» أي منعوهم من أن يخرقوا فيها.

والأخذ على اليد كناية عن استعمال الشدة والقوة، والتعبير بـ «على» يفيد الاستعلاء والفوقية.

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨)، (٣٠٥٧) وقال: حسن صحيح ، من حديث أبي بكر الصديق **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

كما ذكر الحافظ ابن حجر **رحمه الله** في حديث «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»<sup>(١)</sup>، حيث قال : قوله «تأخذ فوق يديه» كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول، وعبر بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة<sup>(٢)</sup>.

ولماذا نص في الحديث علي كون القسمة بالاستهام؟!

للإشارة إلى أنّ الطاعة والمعصية اللتين مُثِّلَ لهما بذلك عن قدرٍ سابق، ولا عملٍ للعبدِ إلاّ فيما يضاهاه عمل الاستهام، وهو يكفي في اثبات الاختيار ونفي الجبر الذي يقول به الجبرية.

ففي الحديث ردُّ علي القدرية والجبرية معاً، فليس أمر الطاعة والمعصية اختياراً محضاً ولا جبراً محضاً، وإنما هو بين بين .

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) يُنظر فتح الباري (٩٨/٥).

(٢٤)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنَصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنْتُمْ تَتَثَلَوْنَهَا<sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«الْكَلِمِ»: اسم جنس جمعي ، لا جمع ، ولا اسم جمع<sup>(٢)</sup>.

«فَبَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ» أي في أوقات نيامي ، «ما» مصدرية ظرفية ، «بين» أضيفت إلي متعدد علي ما هو أصلها وهي تتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم «أُتِيْتُ».

<sup>(١)</sup> رواه البخاري (٢٩٧٧) ، ومسلم برقم (٥٢٣/٦).

<sup>(٢)</sup> والفرق بين ثلاثهم يتضح فيما يلي :-

الجمع - جمع التوكسير - : وهو ما دَلَّ علي ثلاثة فأكثر، وتغير فيه بناء مفرده.  
مثل : رجال جمع رجل .

اسم الجمع : وهو ما دَلَّ علي ثلاثة فأكثر، ولا مفرد له من لفظه. مثل : قوم.

اسم الجنس الجمعي : وهو ما فرق بينه وبين واحده بالتاء أو الياء المشددة.  
مثل : كلم ؛ كلمة .

زيدت الباء في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «أُتِيَتْ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ» ولم تزد في قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «أُتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ» مع أَنَّ الفعل واحد فيهما؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «أُتِيَتْ بِمَفَاتِيحِ» وَعَدَى؛ فَزِيدَتْ الْبَاءُ لِتَأْكِيدِهِ، بِخِلَافِ «أُتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ» لِتَحْقِيقِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْكِيدٍ .

جاء الوصل بين الجملة الثانية «ونصرت بالرعب» والأولي «أُتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ» بواو العطف للتوسط بين الكمالين لأنهما متفقان في الخبرية مع وجود الجامع بينهما وهو الاتفاق في المسند إليه، أمَّا الجملة الثالثة «فبينما أنا نائم...» جاءت بفاء التفرع إذ أنها متفرعةٌ عنهما .

«وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا» : بوزن تفتعلونها -مِنَ النَّثْلِ بِالنُّونِ وَالْمَثَلَاةِ-، تَقُولُ : نَثَلْتُ الْبَيْرَ إِذَا اسْتَخْرَجْتَ تَرَابَهَا. وَنَثَلَ كَنَانَتُهُ نَثَلًا: اسْتَخْرَجَ مَا فِيهَا مِنَ النَّبْلِ. وَالْمَقْصُودُ بِهَا فِي الْحَدِيثِ «وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا» : يَعْنِي الْأَمْوَالَ وَمَا فَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

(١) انظر فتح الباري (٦/ ١٤٩، ١٥٠)، ولسان العرب (١١/ ٦٤٥).

وتأويل الرؤيا بالاستيلاء علي ممالك الأرض لا يدخل في باب الحقيقة ولا المجاز لأنه تأول لما وقع في الرؤيا ، والحقيقة والمجاز من صفات الألفاظ.

فإن قيل: لماذا حُصَّ النبي ﷺ بمجموع الكلم من القرآن والحديث؟!؟

قلنا: حُصَّ النبي ﷺ بمعجزة القرآن وبلاغة الحديث لما هو مشهورٌ من أن كل نبيٍّ يبعث بمعجزة مناسبة لما اشتهر به قومه، وكانت شهرة العرب البلاغة والفصاحة، فكانت معجزته ﷺ من ناحيتهما، وكانت بلاغته في الحديث تمكنه من أداء رسالته بينهم .

كذلك لما أراه من أنه بُعث برسالةٍ تعتمد علي الدعوة السلمية بالاقناع لا بالتخويف بآلة عذاب كالتي كان الرسل يعتمدون عليها قبله، إذ أنه بعث بشريعة باقية إلي قيام الساعة، ولأمة أريد لها البقاء لا الفناء، فناسبها هذه المعجزة القرآنية التي تأخذهم علي مهل بالاقناع.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ

يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ  
وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿ [الكهف/٢٩].

فَمَنْ شَاءَ آمَنَ بِهَا = فنجاة من عذاب الله في الآخرة، وَمَنْ  
شَاءَ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا = فاستحق العذاب الأخروي فقط ولم  
يؤخذ بأية عذابٍ دنيويٍّ كما أخذت الأمم التي أهلكت  
بهذه الآيات.

فنقرأ مثلاً قول الله ﷻ: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ  
الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الذاريات/٤٤].

وقوله ﷻ: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف/١٣٦].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا  
خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت  
١٤/].

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ \* وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ  
صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ \* سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ  
حُسُومًا \* فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ  
خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ \* وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ

وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً  
رَابِيَةً ﴿ [الحاقة/ ١٠ : ٥].

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ  
يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص  
٨١/].

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ  
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء/ ١٨].

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ  
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ \* فَلَمَّا  
عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ \* وَإِذْ  
تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ  
الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ \*  
وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ  
ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾  
[الأعراف / ١٦٥ : ١٦٨].

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا  
لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة/ ٦٥].

﴿قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾  
[المائدة/٦٠].

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود/٨٢، ٨٣].

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود/٩٤، ٩٥].

هذا بعض عقاب الله للأمم السابقة في الدنيا ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه/١٢٧].

فإن قيل: ولم اختر النبي ﷺ بالنصر بالرعب!؟

قلنا: لأنه ﷺ بُعث رحمة للعالمين، فخص بهذا اقتصاداً فيما يراق في دعوته من الدماء، لأن كثيراً ممن دعاهم كان

يحملهم هذا الرعب علي إجابة دعوته وترك قتاله، فيسلمون أو يهادنون، وتحقن بهذا دماء الفريقين رحمةً بهما، وكرهةً لإراقة دمائهما.

ومعلومٌ أنّ السيف لم يكن وسيلة لنشر الإسلام، لأنّ وسيلة نشر الإسلام قد بينت في قول المولي عليه السلام : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل/١٢٥].

وهذه دعوة سلمية لا إكراه فيها بسيفٍ ونحوه.

وقد نفي الإكراه علي الدين صريحاً في قول الله تعالى : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾ [البقرة/٢٥٦].

وقد ذهب الذين يدعون أنّ الإسلام نُشِرَ بالسيف إلي أنّ هذه الآية منسوخة بآيات القتال، وبقوله عليه السلام : «أُمرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، أن محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك

عَصَمُوا مِنِّي دِمَائَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

والحق أن آيات القتال لا تنسخ هذه الآية، لأن أول ما ورد في شرع القتال قوله ﷺ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج/٣٩]، فشرع فيه القتال للذين قاتلوا المسلمين، فيكون قتالهم لمن قاتلهم ردًا علي قتاله لهم، وحماية لدعوتهم منه، لا لحملة بالقتال علي الإسلام.

وكذلك قوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة/٣٦].

وأما قوله ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال/٣٩] فقد يغتر بظاهره كثير من الناس - لا سيما أصحاب الأهواء والشبهات - ويراه صريحًا في أمرهم بالقتال حتى يكون الدين كله هو الإسلام، ولكن الحقيقة خلاف ذلك، لأن الآية أولاً واردة في مشركي العرب، ولأن قوله تعالي ثانياً ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ

(١) رواه البخاري ٩٤/١، ٩٥ برقم (٢٥)، ومسلم ٣٤٨/١، ٣٤٩ برقم (١٢٨).

**فِتْنَةٌ** ﴿بمعني حتى لا يفتنوكم عن دينكم، فيكون القتال حمايةً للدعوة فقط، ولأن قوله ثالثًا ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ ﴿بمعني أن أمره يكون لله يهدي إليه من يشاء ويضل من يشاء، ولا يتمكن أحد من فتنة غيره عن دينه.

وأما قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** : «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» فالمراد بهم مشركو العرب كما ذهب إليه بعض الفقهاء ، لأنَّ الإسلام أراد أن تكون جزيرة العرب -وهي الموطن الأول للإسلام- خالصة للمسلمين.

وبهذا كله يكون الرعب الذي نصر به النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** غير الرعب منَّ السيف؛ لأنَّه لم يكن وسيلة لنشر دعوته ورسالته **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ، وإنما هو الرعب الذي ورد في قوله تعالى : ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران/١٥١] فهو رعبٌ ناشيء عن ضعف في عقيدتهم، وقوة عقيدة الإسلام.

فكان قتال النبي ﷺ في سبيل الحق، وفيه قوة، وكان قتالهم في سبيل الباطل، وفيه ضعف، ومن هنا كانت نصرته ﷺ عليهم بالرعب.

ولماذا خص النبي ﷺ بذلك الوعد «فبينما أنا نائم أتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي»؟!

حُصَّ بذلك الوعد لتكون للإسلام دولة تحميه، وتعمل علي نشره، لأنه شريعة باقية لا تنتهي بموته ﷺ، فيجب أن يكون لهذه الشريعة دولة تكفل لها البقاء، وتعيش في كنفها عزيزة .

(٢٥)

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » <sup>(١)</sup>.

### توجيهات وتحقيقات الحديث :

«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ» ؛ «مَثَلُ» مبتدأ مرفوع، «مَا» اسم موصول مضاف إليه في محل جر، وجملة «بَعَثَنِي اللَّهُ» لا محل لها صلة الموصول، «كَمَثَلِ» جار ومجرور في محل رفع خبرا المبتدأ .

«مَثَلُ» مثل الشيء؛ حالته العجيبة، وكالمثل المثل .

(١) رواه البخاري ( ٧٩ ) ، ومسلم ( ٢٢٨٢ ) .

ويُستعمل المثل في أسلوب التشبيه التمثيلي كما في هذا الحديث، وكما وردَ في القرآن الكريم في أكثر من موضع كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [يونس/٢٤]، ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [الكهف/٤٥]، ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ النَّارِ الَّتِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة/١٧]. وقد تستعمل في تشبيه المفرد مثل قولهم: فهم علي مثل فهم محمد.

والأمثال تختلف عن غيرها من جهة المعنى ووضوحه وتحديدته وضبطه؛ لأنَّ اللغة العارية من التمثيل تخبر بالمراد خبرًا مباشرًا وتقضب علي مقصودها في خطابها قبضًا واضحًا، كقوله **الكَلْبَاءُ**: «الحلال بينٌ والحرام بينٌ» المعنى هنا لا يلتبس ولا تزحف عليه غشاوة ولا تتراءى عليه ظلال، نعم هو معني سخيٍّ ومنتسِعٌ واللفظ فيه موجز، ولكن أضواء البيان ساقطة عليه من جهاته كلها، وهذا بخلاف قوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في الحديث نفسه: «إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمِيٍّ وَإِنَّ حَمِيَّ اللَّهِ مُحَارِمُهُ» وَأَنَّ هَذَا ضَرْبٌ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الدَّلَالَةِ الْمُبَاشِرَةِ، وَمَا دَامَ الْكَلَامُ خَرَجَ عَنِ ذَلِكَ صَارَ

حملاً لوجوه، ولهذا يكون تحليله وتصيّد معانيه باباً مفتوحاً للرأي والاجتهاد مع أنّ له في النهاية ضوابط تحيط بالمعني، ولكن هذه الضوابط لا تصل إليها إلا بعد أن تحرق لها سترًا من دونها سترًا.

وهذا الحديث بُني على المثل، وبدأ بكلمة «مَثَلٌ»: «مَثَلٌ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ»، وانتهى بها: «وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا»<sup>(١)</sup>.

في التعبير بـ «مَا» في قوله ﷺ «مَا بَعَثَنِي» ابهام للتشويق إلى البيان، وفيه التفخيم عن طريق هذا الابهام.

«الهُدَى وَالْعِلْمُ» الـ في الهدى والعلم للعهد؛ وجمع بينهما لبيان أنّ شريعة الإسلام علم يهدي إلى الفلاح.

«الغَيْثُ»: المطر الذي يُحتاج إليه، ثمّ وصفه بالكثرة فقال ﷺ: «الكَثِيرُ» للتأكيد<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر شرح أحاديث من صحيح البخاري - دراسة في سمت الكلام الأول-، تأليف أ.د/ محمد محمد أبو موسى، ص ١٨٢.

(٢) ويُقال: غاثهم الله، وأرض مغيثة، وسقط الغيث في أرض بني فلان. ويُطلق "الغَيْثُ" ويُراد به الكلاء، يُقال: وقعنا على غيثٍ يُفيد المشية؛ أي على كلاءٍ.

«كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا» فالشرع يهدي من اتبعه إلى الصراط المستقيم مثله مثل المطر في طهارته وعودته ونفعه للناس حين ينزل على الأرض.

وقوله **صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ** «أَصَابَ أَرْضًا» جملة حال.

«فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةً، قَبِلَتِ الْمَاءَ» أرضٌ طيبةٌ قابلة للنماء تتبطن بالخصوبة وفيها مقومات صياغة النبات وازدهاره .  
جملة «قَبِلَتِ الْمَاءَ» في محل رفع صفة، وكذلك جملة «أَمْسَكَتِ الْمَاءَ».

«الكلأ» أي النبات عُشْبًا وحشيشًا رطبًا كان أم يابسًا.

«والعشب» الرطب، وهو من عطف الخاص للاهتمام به<sup>(١)</sup>.

(١) ويُقال في المادة: الله يكلؤك، وتداركه الله بكلأٍ منه، واكتلأت منه: احترست. ويُقال: أصابوا كلأً واسعاً وأكلأه؛ وهو المرعي رطباً كان أو يابساً. وبلغوا كلاء النهار ومكلاءه، وهو مرفأ السفن وحيث تستر من الريح وتكلأ. وبلغ الله بك أكلاً العمر أي أقصاه.

«فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ» حين نزل عليها المطر تحولت به إلى جنة عالية الأشجار متشابكة الأغصان، يانعة الأثمار، زاهية الأشجار، أكلها دائم وظلها.

وعلاقة الجملة بما قبلها هي علاقة «فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةً» بما قبلها، يعني فيه مؤاخاة وتشابه شديد في طريقة توليد المعاني.

«أجادب» جمع جذب -بسكون الدال- ، وجذب - بفتحها- كما يقول الشراح.

وفي الحديث الشريف يُراد من الأجادب الأرض التي لا تمسك الماء ولا تنبت؛ بدليل المقابل.

«وَكَاثَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمَسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا» أرض جامدة لا تنبت ولا يتسرب منها الماء ، فحين نزل عليها المطر حفظته فانتفع الناس به في دفع ظمئهم بالشرب، وفي إنماء زرعهم بالسقي، فاستفادوا منها وأفادوا غيرهم وبقيت الأرض جامدة هامة، فنفعت غيرها، ولم تنتفع هي.

والجملة معطوفة علي «فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةً».

ودخل في تكوينها جملة صفة وهي «أَمْسَكْتَ الْمَاءَ»،  
وجملة معطوفة عليها بالفاء المفيدة للترتيب؛ «فَنَفَعَ اللَّهُ  
بِهَا النَّاسَ» ثم عُطِفَ علي هذا ما يفسره؛ «فَشَرِبُوا وَسَقَوْا  
وَزَرَعُوا».

«قيعان» جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع في وطأة  
الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه .

جملة «إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ» مبتدأ وخبر، جملة «لَا تُمَسِكُ  
مَاءً» صفة لقيعان، وكذلك ما عُطِفَ عليها «وَلَا تُنْبِتُ  
كَلًّا».

«وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمَسِكُ  
مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا» الأرض الثالثة إنما هي قيعان لا تمس  
الماء، ولكنه يتسرب منها، ولا تنبت كلاً؛ لأنه لا خصوبة  
فيها، وليست قابلة للحرث والزرع، فلا ينتفع الناس بها  
علي أي وجه، لا في بقاء الماء للانتفاع به، ولا في انبات  
الحرث والنماء .

«فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنُ فَقَّهُ فِي دِينِ اللَّهِ» ؛ اسم الإشارة في قوله «فَذَلِكَ» راجعٌ إلى المثل من أوله، والفاء الداخلة عليه فاء الفصيحة ، وكأنَّ المعني: إنَّ أحكمت علم ذلك «فَذَلِكَ» مَثَلٌ مَنُ فَقَّهُ فِي دِينِ اللَّهِ»، قوله صلى الله عليه وسلم «فَقَّهَ» -بكسر القاف وضمها- أي فهم، وهو بالضم يكون من الصفات اللازمة كشرف وظرف.

وقد جاء في الحديث الشريف : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>.

«مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا» الباء إمَّا بمعني اللام؛ أي لم يأبه للشيعة ، كنية عن تكبره ، فإنَّ مَنْ اهتم بأمرٍ رفع رأسه له ، وإمَّا للسببية؛ أي لم يرفع رأسه بسبب عدم قبول الشيعة، فإنَّ من قبلها -أي الشيعة- ارتفعت رأسه وعزَّ، ومن لم يقبلها هان وذلَّ.

وعلي الوجهين يكون قوله صلى الله عليه وسلم «وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» تفسيرًا له ؛ لقصد التشنيع .

(١) رواه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧).

«فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَّهُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

هذا هو المضروب له المثل، يعني أن المثل جاء أولاً، ثم استخرج منه المقصود الذي تضمنه هذا المثل، والأجري في الكلام أن يُذكر المقصود أولاً، ثم يعقب بالمثل كقوله **عليه السلام** : «مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به، مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه» وقول أبي تمام المشهور :

وإذا أراد الله نشر فضيلة\*\*

طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت\*\*

ما كان يُعرف طيبُ عرفِ العود

لولا التَّخَوُّفُ لِلِعَوَاقِبِ لم نزل\*\*

للحاسدِ التُّعَمَى على المحسودِ

أو يأتي المعنى من أول الأمر ممثلاً كقوله **عليه السلام** : «مَنْ فِي الدُّنْيَا ضَيْفٌ، وَمَا فِي يَدِهِ عَارِيَةٌ، وَالضَيْفُ مَرْتَحِلٌ وَالْعَارِيَةُ مُؤَدَّاءٌ».

والحقيقة أنّ هذا الحديث الذي معنا يرجع إلي هذا النوع الثاني، لأنّ مقصوده الأول هو «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ» فالشريعة غيْثٌ ، والقلوب أرض، وهذا هو مَعْقِد المثل ثمّ نتج من ذلك ما بيّنه عليه السلام بقوله «فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ» إلي آخره<sup>(١)</sup>.

فهذا حال الدين الإسلامي والعلم الالهي وهدى الله حين يوجه إلي الناس ويبلغ إليهم ؛ فيُصادف نفوسًا نقية وأرواحًا طاهرة زكية ارتوت من نмир الشريعة الصافي وترعرعت علومها ، واقتطف الناس من ثمار تلك العلوم ما شاءوا ، هؤلاء قد انتفعوا في أنفسهم وبنفعوا غيرهم بحفظ الشريعة تعليمها .

ويُصادف نفوسًا أخرى حفظت الشريعة ووعتها وأدتها إلي الناس ؛ فاستحقت الثناء وإن لم تنتفع هي في ذاتها بهذه الشريعة الغراء، وهذا الهدى الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، وإنّما انتفع غيرها، وبقيت حيث هي .

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري، د/ محمد محمد أبو موسى، ص ١٨٤،

ويُصادف من النفوس نفوساً خبيثة متمردة، نفوساً سيئة لم تنتفع في نفسها ولم تكن وسيلة لنفع غيرها، فلم تحفظ العلم الذي سمعته، ولا الهدى الذي بلغ إليها، فلا خير فيها لنفسها، ولا لغيرها. فكانت ذليلة مهينة في تأبيها وامتناعها عن قبول الهدى بأي وجه من الوجوه.

والتشبيه في الحديث تشبيه تمثيل ، تشبيه مركب بمركب وتشبيه حال الشريعة الإسلامية في مصادفتها نفوساً مختلفةً، فمن نفسٍ طيبةٍ قبلت الشريعة وفهمت أسرارها فعلمت وعملت. ومن نفسٍ أخرى حافظت فقط علي الشريعة؛ فانتفع الناس بما حفظته ، ولم تفهم هي تلك الأسرار أو تعمل بها، إلي نفسٍ خبيثةٍ لم تقبل الشريعة فلم تنفع ولم تنتفع ، بحالة الغيث أصاب أرضاً مختلفة التربة ؛ فمنها نقيه صارت بالغيث جنة فيحاء ، ومنها قسم أمسك الماء فقط فانتفع به الناس ، ومنها أرض لا تمسك الماء ولا تنبت الكأ .

قال البدر العيني **رحمته الله**: وقد كَانَ النَّاسُ قَبْلَ الْمَبْعَثِ قَدْ  
امْتَحَنُوا بِمَوْتِ الْقُلُوبِ، وَنُضُوبِ الْعِلْمِ حَتَّى أَصَابَهُمُ اللَّهُ  
بِرَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِهِ <sup>(١)</sup>.

والجامع صورة اختلاف أثر الشيء النافع صادف أموراً  
اختلفت صفاتها وتغايرت طبائعها.

وهو مِنْ تَشْبِيهِ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ؛ فَالْهَدْيُ وَالْعِلْمُ  
مَعْقُولَانِ، وَالْأَرْضُ مَعَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتُ مَحْسُوسَاتٌ، وَذَلِكَ  
لِإِبْرَازِ الْمَعَانِي وَإِيضَاحِهَا عَنْ طَرِيقِ ضَرْبِ الْمَثَلِ، ﴿وَتِلْكَ  
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت  
٤/]، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾  
[الحشر/٢١].

وقد يُقَالُ لِمَ حَذَفَ النَّبِيُّ **صلواته الله وسلامته عليه** مِنْ أَسْجَامِ النَّاسِ الْقِسْمَ  
الْمُقَابِلَ لِلْأَجَادِبِ؛ وَهُوَ مَنْ حَفِظَ الشَّرِيعَةَ فَانْتَفَعَ بِغَيْرِهِ بِمَا  
حَفِظَ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ هُوَ!؟

(١) يُنْظَرُ عَمْدَةُ الْقَارِي (٢ / ٨٠).

والجواب: أنّ ذلك إشارةً إلى أنّه يقترب من القسم الأولٍ  
لعموم النفع في كلّ، فهو كالقسم الأول من حيث أنه إذا  
استمرّ علي حفظه فمنّ الجائز أن ينتفع هو أيضًا<sup>(١)</sup>.

(١) يُنظر كتاب من الهدى النبوي، تأليف د/ محمد أحمد سلامة، ص ١٢.  
(بتصرف).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المراجع

١. القرآن الكريم .

— أ —

٢. إتحاف ذوي المقل ببيان الحديث المعل، أ.د/ أحمد محمد علي بيومي، نشر مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م.
٣. الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
٤. أثر اختلاف الأسانيد والمتون في اختلاف الفقهاء، الدكتور / ماهر ياسين الفحل، نشر دار الكتب العلمية — بيروت — ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م.
٥. أثر الحديث النبوي الشريف في اختلاف الفقهاء، تأليف الدكتور / عبد الله حسن الحديثي، نشر دار الكتب العلمية — بيروت — الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٦. إجتهد الرسول ﷺ، للعلامة الشيخ / عبد الجليل عيسي، نشر دار البيان — الكويت ١٩٤٨م.
٧. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي = صحيح ابن حبان .
٨. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، طبعة دار الشعب — القاهرة .
٩. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، نشر: مطبعة السنة المحمدية.
١٠. الأحكام المفترى عليها في أحاديث من المتفق عليه، أ.د/ رضا بن زكريا بن محمد بن عبد الله حميده، نشر مكتبة الإيمان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ — ٢٠١١م.

١١. أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الفكر للطباعة - بيروت.
١٢. أخبار الآحاد حجة في العمل والاعتقاد، د. الطباوي محمود سعد.
١٣. أخبار الآحاد في الحديث النبوي (حجيتها، مفادها، العمل بموجبها) تأليف فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، نشر دار عالم الفوائد - مكة المكرمة - الطبعة الثانية.
١٤. الآداب الشرعية والمنح المرعية، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، نشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١٥. الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠هـ.
١٦. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، نشر المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
١٧. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام الحافظ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق وتعليق د. شعبان محمد إسماعيل، الطبعة الأولى لدار السلام ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
١٨. الإرشاد إلى كيفية دراسة الإسناد، أ.د/ رضا بن زكريا بن محمد بن عبد الله حميده، مكتبة الإيمان بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
١٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين علي بن محمد بن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، طبعة دار الشعب - القاهرة.
٢٠. الإسرائيليات في التفسير والحديث، تأليف فضيلة الدكتور / محمد السيد حسين الذهبي، نشر مجمع البحوث الإسلامية - الأزهر الشريف - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢١. الإسلام بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط، لفضيلة الشيخ / عبد الله عبد الرحمن الجبرين، نشر دار القاسم، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
٢٢. الأشباه والنظائر، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.

٢٣. الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - وعلي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ .
٢٤. أصول التشريع الإسلامي، علي حسب الله، نشر دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٤ م.
٢٥. أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن أحمد أبي سهيل السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، طبعة: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٢ هـ.
٢٦. أضواء علي المدارس الحديثية (النشأة، والتطور)، أ.د/ مصطفى محمد أبو عمار، نشر مكتبة الإيمان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٢٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، نشر دار الجليل - بيروت - ١٩٧٣ م.
٢٨. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشريبي الخطيب طبعة دار الفكر بيروت ١٤١٥ هـ .
٢٩. إمام المتقين ﷺ وأثر سنته في فهم القرآن الكريم ، الشيخ / مصطفى العدوي، مكتبة مكة ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٣٠. الأمثال النبوية وحكمها، للدكتور / علي عبد الفتاح علي، توزيع دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٣١. الأنساب، لعبد الكريم بن محمد السمعاني، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى - دار الجنان - بيروت ١٤٠٨ هـ .
- ب -
٣٢. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، تأليف العلامة المحدث/ أحمد شاكر، نشر دار الكتب العلمية - لبنان - ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.
٣٣. البحر المحيط، لمحمد بن بهادرت الزركشي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

٣٤. بحوث في القرآن والسنة. نشر الأمانة العامة للأزهر الشريف - اللجنة العليا للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر - ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٣٥. البحر الرائق شرح كتر الدقائق، لابن نجيم الحنفي، طبعة دار المعرفة بيروت .
٣٦. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للإمام الكاساني، طبعة دار الكتاب العربي بيروت - الطبعة الثانية.
٣٧. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، طبعة القاهرة ١٣٥١ - ١٣٥٨هـ.
٣٨. بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام ابن رشد الحفيد القرطبي، طبعة دار المعرفة بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ .
٣٩. البدعة وأثرها في الرواية والدراية، تأليف د/ عائض بن عبد الله القرني، نشر دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤٠. بهجة المجالس وأنس المجالس، لأبي يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.
٤١. البيان والتبيين، لعمر بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.
- ت -
٤٢. تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد ابن قتيبة، خرج أحاديثه : أبو المظفر سعيد بن محمد السناري، دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٤٣. التأويل - دراسة موضوعية في الأحاديث النبوية-، تأليف أ.د/ محمد رأفت سعيد، دار الوفاء بالمنصورة الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٤٤. تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض السيد محمد مرتضي الزبيدي، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية بمنشأة الجمالية-القاهرة ١٣٠٦هـ .
٤٥. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي ، نشر دار الكتاب العربي.

٤٦. تاريخ الإسلام، لشمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي، تحقيق أ.د/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨ هـ .
٤٧. تاريخ الأدب العربي، لكارل ربكلمان، ترجمة : أ.د/ محمود فهمي حجازي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م.
٤٨. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
٤٩. تاريخ السنة ومصطلح الحديث - حسب منهج التأهيل التربوي - أ.د/ رءوف شلي، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م (طبعة خاصة).
٥٠. تاريخ السنة ومراحل تصنيفها، تأليف أ.د/ علي عبد الباسط مزيد، نشر مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى ٢٠١٤ م.
٥١. تاريخ المذاهب الإسلامية ، للشيخ العلامة محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي - القاهرة .
٥٢. تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، للمباركفوري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٣. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق وتعليق د.محمد محمد العوضي، نشر دار البيان العربي ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٥٤. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، لأبي محمد، زكي الدين المنذري، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ -
٥٥. تفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، نشر دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
٥٦. التفسير الواضح، د.محمد محمود حجازي، نشر دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٥٧. التقرير والتحرير، لابن أمير الحاج محمد بن محمد بن محمد، طبعة دار الفكر - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٥٨. التقريب للنووي - فن أصول الحديث - نشر مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده . ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٥٩. تلخيص الحبير، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، الناشر/ المدينة المنورة ١٣٨٤ هـ .
٦٠. التمهيد في تحريج الفروع على الأصول، لعبد الرحيم بن الحسن الإسنوي ، طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .
٦١. تلبس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ .
٦٢. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، نشر الدار المصرية للتأليف، تحقيق/ علي حسن هلاي - محمد علي النجار .
٦٣. تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، طبعة دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٦٤. توثيق السنة في القرن الثاني الهجري، للأستاذ الدكتور المحدث / رفعت فوزي عبد المطلب، طبعة المطبعة العربية الحديثة - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨١م.
٦٥. توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر الجزائري الدمشقي، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٦٦. توجيهات من السنة في مجال الأخلاق والأسرة، أ.د/ محمد رشاد خليفة، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.
٦٧. تيسير مصطلح الحديث وعلومه، أ.د/ علي عبد الباسط مزيد، نشر مكتبة الإيمان ومكتبة الجامعة الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

## - ج -

٦٨. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة الحلبي - القاهرة .
٧٠. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٧١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله أحمد بن أبي بكر بن فرح الأندلسي القرطبي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
٧٢. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق محمود الطحان، نشر مكتبة دار المعارف - الرياض سنة ١٤٠٣ هـ.
٧٣. جلاء الأفهام في الصلاة والسلام علي خير الأنام، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٧٤. جمع الجوامع: لعبد الوهاب بن علي السبكي، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية ١٣٥٦ هـ.
٧٥. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الطبعة الأولى ١٣٤٥ هـ - حيدرآباد الركن.

### - ح -

٧٦. حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير، لمحمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق محمد عليش، نشر دار الفكر - بيروت .
٧٧. حجة الله البالغة، لشاه ولي الله الدهلوي، تحقيق الشيخ / سيد سابق، نشر دار الجيل - بيروت - ٢٠٠٥ م.
٧٨. حجية السنة ومصطلحات المحدثين وأعلامهم، تأليف / عبد المتعال محمد الجبري، نشر مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٧٩. الحديث الضعيف .. أسبابه وأحكامه، د/ ماهر منصور عبد الرازق،  
نشر دار اليقين - المنصورة - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٨٠. الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، تأليف د. عبد الكريم بن عبد الله  
بن عبد الرحمن الخضير، طبعة مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض  
، الطبعة الرابعة ١٤٣١هـ.
٨١. الحديث في علوم القرآن والحديث، تأليف فضيلة الشيخ / حسن أيوب،  
نشر دار السلام - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٨٢. الحديث والمحدثون، تأليف العلامة المحدث / محمد محمد أبو زهو، نشر  
المكتبة التوفيقية - القاهرة - .
٨٣. الإحكام في أصول الأحكام، لأبي الحسن علي بن محمد الأمدى، تحقيق:  
د/ سيد الجميلي، طبعة: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى  
١٤٠٤هـ.
٨٤. الحكم والأمثال النبوية من الأحاديث الصحيحة، سميح عباس، طبعة  
الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٨٥. حياة الصحابة، لمحمد يوسف الكاندهلوي، دار المعرفة - بيروت.
- خ -
٨٦. الخلاصة في معرفة الحديث، تصنيف/ شرف الدين أبي محمد الحسين بن  
محمد بن عبد الله الطيبيّ الدمشقيّ، حققه وعلق عليه : أبو عاصم  
الشوامي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- د -
٨٧. دراسات في الإختلافات الفقهية، د. محمد أبو الفتح البيانوني، نشر دار  
السلام - عمان الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٨٨. دراسات في علوم الحديث، للدكتور / إسماعيل سالم عبد العال، نشر  
دار الثقافة العربية ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٨٩. الدرر البهية في المسائل الفقهية، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني،  
تحقيق : محمد صبحي الحلاق، نشر دار الندى - بيروت . الطبعة الأولى  
، ١٤١٣هـ .

٩٠. الدعاء، تأليف الدكتور / محمد السيد طنطاوي، نشر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، العدد السادس والخمسون ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٩١. دفاع عن الحديث النبوي، للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم، الطبعة الأولى لمكتبة وهبة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٩٢. دفاع عن السنة للعلامة الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبي شهبه، ومعه: الرد علي من ينكر حجية السنة، للدكتور الشيخ عبد الغني عبد الخالق، نشر مكتبة السنة بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٩٣. دقائق التفسير = الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، لابن تيمية أحمد عبد الخليم الحرائي أبو العباس، جمع وتقديم وتحقيق: محمد السيد الجلينيدي. طبعة مؤسسة علوم القرآن - دمشق - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٩٤. دور الحديث النبوي في التفسير الموضوعي والتفسير التحليل - دراسة تطبيقية علي آيات الحجاب في القرآن الكريم - تأليف الأستاذ الدكتور / صبري المتولي ، نشر مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
٩٥. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، نشر دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الخبر الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

## - ر -

٩٦. رد المختار علي الدر المختار = حاشية ابن عابدين، لمحمد أمين بن عمر بن عابدين، نشر دار الكتب العلمية - بيروت .
٩٧. الرسالة ، للإمام الشافعي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، نشر دار التراث - القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٩٨. رواية الحديث بالمعني وأثرها في الحديث والفقہ واللغة والنحو والتصريف، أ.د/ رضا بن زكريا بن محمد بن عبد الله حميده، نشر مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٩٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الألوسي، نشر دار إحياء التراث - بيروت .
١٠٠. روضة الناظر، لابن قدامة ، تحقيق د/ عبد الكريم النملة، طبعة مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
١٠١. رياض الصالحين، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، بتحقيق أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، نشر مكتبة الإيمان الطبعة الثانية ٢٠١٠م. وطبعة أخرى بتحقيق مجموعة من العلماء ، نشر مؤسسة الرسالة.

### - ز -

١٠٢. زاد المسلم من الهدي النبوي، أ.د/ العجمي دمنهوري خليفة، طبعة مكتبة الإيمان بالقاهرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
١٠٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.
١٠٤. الزهد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

### - س -

١٠٥. سبل السلام شرح بلوغ المرام لمحمد بن إسماعيل الصنعاني اليمني، تحقيق إبراهيم عصر، طبعة دار الحديث بالقاهرة .
١٠٦. سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة .. موسوعة علوم الحديث الشريف - إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر - بمشاركة مجموعة من علماء الحديث بجامعة الأزهر الشريف ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.
١٠٧. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- ١٠٨ . سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي،  
تعليق عزت عبید الدعاس، وعادل السيد، نشر دار الحديث - حمص -  
سوريا ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- ١٠٩ . سنن الترمذي؛ (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن  
سورة الترمذي الحلبي، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١١٠ . سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام  
السندي، تعليق عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية - بيروت  
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١١١ . السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق/ محمد عبد القادر  
عطا، نشر مكتبة الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١١٢ . سنن الدارقطني البغدادي، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني، طبعة  
دار المعرفة بيروت سنة ١٣٨٦هـ .
- ١١٣ . سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق:  
فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي، نشر دار الكتاب العربي -  
بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
- ١١٤ . سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي،  
تحقيق د/عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، نشر دار  
الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١١٥ . السنة قبل التدوين، للدكتور / محمد عجاج الخطيب، نشر مكتبة  
وهبة الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ١١٦ . السنة المشرفة وعلوم الحديث، أ.د/ سعد رزق جاويش، نشر مكتبة  
الإيمان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ١١٧ . السنة المطهرة، تأليف فضيلة الدكتور / سيد أحمد رمضان المسير،  
تحقيق وتقديم أ.د/ محمد سيد أحمد المسير، نشر مكتبة الإيمان بالقاهرة،  
الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١١٨ . السنة المفترى عليها، للمستشار/ سالم علي البهنساوي، نشر دار  
الوفاء بالمنصورة، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١١٩. السنة مع القرآن، تأليف فضيلة الدكتور / سيد أحمد رمضان المسير، تحقيق وتقديم أ.د/ محمد سيد أحمد المسير، نشر مكتبة الإيمان بالقاهرة، ٢٠٠٧م.
١٢٠. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور / مصطفى السباعي، مطبعة المدني ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م.
١٢١. السنة النبوية (مكانتها، عوامل بقائها، تدوينها) ، تأليف الشيخ المحدث أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، نشر مكتبة الإيمان.
١٢٢. السنة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية، تأليف أ.د/ عدنان محمد زرزور، نشر دار سلطان، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٢٣. سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تقديم الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م.
١٢٤. سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، طبعة الحلبي - القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
١٢٥. السيرة النبوية، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، نشر المكتب الإسلامي العربي - الجيزة - ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

### - ش -

١٢٦. الشَّافِي فِي شَرْحِ مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ، لابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: أحمد بن سليمان - أبي تميم ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرُّشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
١٢٧. الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية (عرض. وتفنيدي. ونقض)، للعلامة الدكتور / عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- ١٢٨ . شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، مطبعة القدس .
- ١٢٩ . شرح أحاديث من صحيح البخاري - دراسة في سمت الكلام الأول - ، أ.د/ محمد محمد أبو موسي، طبعة مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٤٣١هـ - ، ٢٠١٠ م.
- ١٣٠ . شرح أحاديث من صحيح مسلم - دراسة في سمت الكلام الأول - ، أ.د/ محمد محمد أبو موسي، طبعة مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م.
- ١٣١ . شرح التلويح علي التوضيح للتفتازاني، نشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده.
- ١٣٢ . شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، للقاضي البخاري عبيدالله بن مسعود بن محمود المحبوبي الحنفي صدر الشريعة، مطبوع مع شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، طبعة: دار الكتب العربية، مصر.
- ١٣٣ . شرح تنقيح الفصول، لأحمد بن إدريس القرافي، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.
- ١٣٤ . شرح الديباج المذهب في مصطلح الحديث للإمام العلامة محمد المشتهر ببلدة بخارا بمنلا حنفي، عُني بتصحيحه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ / علي محفوظ، نشر مطبعة محمد علي صبيح .
- ١٣٥ . شرح صحيح البخاري لابن بطلال، أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م
- ١٣٦ . شرح الزرقاني علي الموطأ، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - طبعة ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٣٧ . شرح العقيدة الطحاوية، لمحمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تخريج العلامة المحدث / محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي - دمشق - الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ - .

١٣٨. شرح الكوكب المنير (المسمى بمختصر التحرير، أو المختبر للمبتكر شرح المختصر في أصول الفقه)، لابن النجار محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن علي الفتوح الحنبلي، تحقيق د/ محمد الزحيلي ود/ نزيه حماد، طبعة مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
١٣٩. شرح منتهي الإرادات للشيخ منصور البهوتي، طبعة عالم الكتب .
١٤٠. شرح معاني الآثار، لأحمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة أبو جعفر الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، نشر دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ.
١٤١. شرح النووي علي صحيح مسلم، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف، طبعة دار الشعب - القاهرة .
١٤٢. شروط الأئمة الستة للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، ومعه: شروط الأئمة الخمسة للحافظ أبي بكر محمد بن موسى الحازمي، اعتني بهما : أ.د/ علي عبد الباسط مزيد، مع تعليقات العلامة محمد بن زاهد الكوثري، والعلامة عبد الفتاح أبو غده.. نشر مكتبة الجامعة الأزهرية ومكتبة الإيمان بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

### - ص -

١٤٣. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، أ.د/ يوسف القرضاوي، كتاب الأمة، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٤٤. صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤٥. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، نشر المكتبة الإسلامية - بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م.

١٤٦. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيريّ النيسابوريّ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤٧. صحيح الوايل الصيب من الكلم الطيب، للإمام شمس الدين بن قيم الجوزية، اختصره وعلق عليه/ أسامة محمد الجمال، دار أبو بكر الصديق - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

#### - ض -

١٤٨. ضوابط الرواية (دراسة تأصيلية)، د/ مشيخة حمد عبد الله العطية، نشر دار البصائر، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

#### - ط -

١٤٩. طُرق الحكم علي الحديث بالصحة أو الضعف، للشيخ المحدث أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، نشر مكتبة الإيمان بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

#### - ظ -

١٥٠. ظاهرة الغلو في التكفير، أ.د/ يوسف القرضاوي، مكتبة المنار الإسلامية - الكويت - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

#### - ع -

١٥١. العبادة في الإسلام، أ.د/ يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٥٢. علل الشرائع، لحمد بن علي بن بابويه القميّ، تحرير محمد صادق بحر العلوم، نشر دار البلاغة - النجف - ١٩٦٦م.

١٥٣. علم أصول الفقه، لفضيلة الشيخ/ عبد الوهاب خلاف، طبعة مكتبة دار التراث، مصر، الطبعة السابعة ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م.

١٥٤. علم الجرح والتعديل (قواعده وأئتمته)، أ.د/ عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، نشر مكتبة الإيمان بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- ١٥٥ . علم الحديث النبوي (محاضرات ودراسات)، أ.د/ صبري المتولي،  
نشر مكتبة زهراء الشرق، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٥٦ . علوم الحديث، لابن الصلاح، تحقيق الدكتور / نور الدين عتر،  
طبعة دار الفكر - دمشق - الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - .
- ١٥٧ . علوم السنة وعلوم الحديث (دراسة تاريخية - حديثة - أصولية)  
تأليف أ.د/ عبد اللطيف محمد عامر ، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الأولى  
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٥٨ . عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للحافظ أبي محمد محمود بن  
أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتاني الحنفى بدر الدين العيني،  
نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

### - غ -

- ١٥٩ . غاية الإيضاح في علوم الاصطلاح، دكتور / الخشوعي الخشوعي  
محمد الخشوعي، طبعة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢.
- ١٦٠ . غريب الحديث، لابن الجوزي أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن  
محمد بن علي ابن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن جعفر، تحقيق:  
د.عبدالمعطي أمين قلعجي، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة  
الأولى، ١٩٨٥م.
- ١٦١ . غريب الحديث، لأبي سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي  
البيسي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، نشر جامعة أم القرى -  
مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ .

### - ف -

- ١٦٢ . فتاوى الأزهر وفتاوى دار الإفتاء المصرية لمدة مائة عام للشيخ جاد  
الحق علي جاد الحق وغيره، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .
- ١٦٣ . فتاوى قطاع الإفتاء بالكويت -الفتاوى الشرعية الصادرة عن  
قطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، فتاوى، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ -  
١٩٩٦م ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الإدارة العامة للإفتاء  
والبحوث الشرعية.

- ١٦٤ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، ترقيم / محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة السلفية.
- ١٦٥ . فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السّلامي البغدادي، الدمشقي الحنبلي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، نشر مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة النبوية. الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١٦٦ . فقه الأسرة في الإسلام د/ محمد نبيل غنيم- الطبعة الأولى لدار الهداية بالقاهرة ١٤٢٤ هـ .
- ١٦٧ . الفقه الإسلامي وأدلته، للعلامة الشيخ أ.د/ وهبة الزحيليّ طبعة دار الفكر، دمشق: الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ.
- ١٦٨ . فوات الوفيات، لمحمد بن شاکر الكنتي ، تحقيق: إحسان عباس ، طبعة دار صادر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.
- ١٦٩ . فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية - القاهرة الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م.
- ١٧٠ . في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، أ.د/ محمد سعيد رمضان البوطي، نشر دار الفكر - دمشق ٢٠١١ م.
- ١٧١ . في رحاب السنة - شرح أحاديث نبوية، تأليف الإمام أ.د/ يوسف القرضاوي، طبعة مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ١٧٢ . في ظلال القرآن، لسيد قطب، نشر دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

### - ق -

- ١٧٣ . القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، نشر دار الجيل - لبنان.
- ١٧٤ . الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، نشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م.
- ١٧٥ . قضية السنة، لفضيلة الشيخ / محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - هدية مجلة الأزهر لشهر جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ.

١٧٦. قضايا حديثة، أ.د/ سعد سعد رزق جاويش، طبعة مكتبة الإيمان بالقاهرة ٢٠١٢م.
١٧٧. قطوف من الأدب النبوي - دراسة موضوعية في السنة المطهرة - ، تأليف أ.د/ عبد الرحمن عبد الحميد البر ، طبعة دار الكلمة للنشر والتوزيع - المنصورة - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
١٧٨. قطوف من الهدى النبوي، أ.د/ مصطفى محمد أبو عمارة، نشر مكتبة الإيمان بالقاهرة، الطبعة الخامسة ١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م.
١٧٩. القرائن وأثرها في علم الحديث، تأليف د/ عبد الله محمد حسن، اصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت - الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
١٨٠. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، نشر دار العقيدة - الإسكندرية - الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٨١. قواعد المحدثين في دفع التعارض الظاهري بين الأحاديث، أ.د/ رضا بن زكريا بن محمد بن عبد الله حميدة، نشر مكتبة الإيمان ومكتبة الجامعة الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ك -
١٨٢. الكشاف، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ومعه كتاب الانتصاف، نشر دار المعرفة - بيروت.
١٨٣. كشف الخفاء، لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشهير بالجراحي الشافعي العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت - الطبعة الرابعة .
١٨٤. الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، للخطيب البغدادي، تحقيق: إبراهيم بن مصطفى الدمياطي، نشر دار الهدى ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
١٨٥. كيف نتعامل مع السنة النبوية، للعلامة الشيخ د. يوسف القرضاوي ، نشر مكتبة الشروق، الطبعة السادسة ٢٠١٠م.

١٨٦. كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي. نشر مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩ م.

### - ل -

١٨٧. لسان العرب، لجمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين مكرم بن علي بن أحمد بن منظور، دار صادر - بيروت - ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

١٨٨. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، تأليف / محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد، نشر دار إحياء الكتب العربية.

١٨٩. ليس من الإسلام، لفضيلة الشيخ / محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٨٣م.

١٩٠. ليس من قول النبي ﷺ، تأليف أ.د/ محمد فؤاد شاكر، طبعة مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

### - م -

١٩١. مباحث في علوم الحديث، لمناع القطان، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٩٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدس - القاهرة.

١٩٣. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري، تأليف شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي، خرّج أحاديثه: الدكتور الشحات أحمد محمد - عادل شوشة، نشر مكتبة فياض للتجارة والتوزيع - المنصورة - طبعة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٩٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز = تفسير ابن عطية، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ

١٩٥. المحصول، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق د. طه جابر العلواني، جامعة الإمام محمد - الرياض - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١٩٦. المحلي بالآثار، لابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، نشر دار الآفاق الجديدة - بيروت .
١٩٧. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، طبعة دار الحديث، بالقاهرة.
١٩٨. المختار - شرح أربعين حديثاً في أصول الدين - تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز، طبعة دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
١٩٩. المختصر الوجيز في علوم الحديث ، أ.د/ محمد عجاج الخطيب، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٠٠. المختصر في أصول الحديث، للإمام أبي الحسن الجرجاني، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، نشر دار الدعوة بالاسكندرية ١٩٨٣ م.
٢٠١. المختصر في علم أصول الحديث النبوي، (مع دراسة شاملة لمؤلفات ابن النفيس)، دراسة وتحقيق دكتور / يوسف زيدان، نشر الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
٢٠٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٠٣. المدخل إلي دراسات الحديث النبوي الشريف، لأبي الحسن علي الحسيني الندوي، نشر دار الكلمة بالمنصورة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٠٤. المدخل لدراسة السنة النبوية، للعلامة الشيخ د.يوسف القرضاوي، نشر مكتبة وهبة، الطبعة السابعة ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٢٠٥. المدخل لدراسة علم الحديث والمصطلح، للدكتور / أحمد بن منصور آل سبالك، نشر دار الرضا، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٢٠٦. المستدرک ، للحاكم، طبعة دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٣٤ هـ - .

٢٠٧. المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط وجماعة، طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ.
٢٠٨. المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، طبعة المملكة العربية السعودية، وزارة التربية والتعليم، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
٢٠٩. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، نشر دار العربية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
٢١٠. مصطلح الحديث للعلامة الشيخ عبد الغني محمود، طبع دار الإتحاد العربي.
٢١١. مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد الكوفي ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢١٢. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، نشر المطبعة العلمية - حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
٢١٣. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق / طارق بن عوض الله بن محمد، عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني نشر دار الحرمين القاهرة سنة ١٤١٥هـ.
٢١٤. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبعة مكتبة العلوم والحكم - الموصل - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ.
٢١٥. معجم مصطلحات الحديث، إعداد: سليمان مسلم الحرش، حسين إسماعيل الجمل، تقديم فضيلة الشيخ/ عبد القادر الأرنؤوط، نشر مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢١٦. معجم المصطلحات الحديثية، أ.د/ علي عبد الباسط مزيد، نشر مكتبة الجامعة الأزهرية ومكتبة الإيمان بالقاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

- ٢١٧ . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لجماعة من المستشرقين بإشراف أ.ي.فنسنك . طبعة مكتب بريل - ليدن - هولندا .
- ٢١٨ . معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق : عبد السلام هارون، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢١٩ . معرفة علوم الحديث، للحاكم، تحقيق أحمد بن فارس السلوم، نشر دار ابن حزم - بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .
- ٢٢٠ . المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق د/ أكرم ضياء العمري .
- ٢٢١ . مفاتيح تدبر السنة والقوة في الحياة، إعداد د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم، نشر دار الصديق ٢٠٠٨م .
- ٢٢٢ . مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي، نشر دار إحياء التراث - بيروت .
- ٢٢٣ . مقاصد الصلاة، للعز بن عبد السلام، تحقيق إياد خالد الطباع، نشر دار الفكر المعاصر - بيروت - ودار الفكر - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٩٥م .
- ٢٢٤ . مقدمة في أصول الحديث، لعبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي ، تحقيق : سلمان الحسيني الندوي، نشر دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٢٢٥ . المقنع في علوم الحديث، لابن الملقن سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، تحقيق د.عبد الله بن يوسف الجديع، نشر دار فواز للنشر - السعودية، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .
- ٢٢٦ . مكانة السنة ، لفضيلة الشيخ / علي الخفيف - رحمه الله - هدية مجلة الأزهر، لشهر جمادى الأولى ١٤٢٢هـ .
- ٢٢٧ . مكانة السنة في الإسلام، تأليف العلامة المحدث أ.د/ محمد محمد أبو زهو، نشر مطبعة قاصد خير، الطبعة الأولى ١٣١٩هـ - ١٩٧١م .

٢٢٨. مناهج المحدثين من القرن الأول الهجري حتى عصرنا الحاضر، تأليف أ.د/ علي عبد الباسط مزيد، نشر مكتبة الإيمان ومكتبة الجامعة الأزهرية ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٢٩. من توجيهات الرسول، أ.د/ أحمد عمر هاشم، نشر دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٣٠. منزلة السنة من الكتاب وأثرها في الفروع الفقهية، محمد سعيد منصور، طبعة مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٣١. منهج توثيق السنة النبوية الشريفة، للدكتور / محمد إبراهيم الفيومي، هدية مجلة الأزهر لشهر رمضان ١٤٢٠هـ.
٢٣٢. منهج النقد في علوم الحديث، تأليف العلامة المحدث أ.د/ نور الدين عتر، نشر دار الفكر - سوريا - ودار الفكر المعاصر - لبنان - الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.
٢٣٣. المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناي الحموي الشافعي، بدر الدين، المحقق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، نشر دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.
٢٣٤. المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف، تأليف/ السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة السابعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢٣٥. من الهدى النبوي، دكتور محمد أحمد سلامة، مطبعة الأمانة - شبرا، مصر - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٣٦. من هدي السنة في العبادات، أ.د/ أحمد عمر هاشم، نشر دار المنار بالقاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٣٧. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي، نشر دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٨م.
٢٣٨. الموافقات، للشاطبي، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن عفان - الخبر - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٣٩. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، الأجزاء ١ - ٢٣ : الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، الأجزاء ٢٤ - ٣٨ : الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر، الأجزاء ٣٩ - ٤٥ : الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

٢٤٠. الموقظة في مصطلح الحديث، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركمانيّ الدمشقيّ، تحقيق كامل محمد عويضة، كمال علي علي الجمل، نشر دار الكلمة بالمنصورة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٤١. الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق أ.د/ بشار عواد معروف، نشر دار الغرب - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٤٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

#### — ن —

٢٤٣. نظرات في تاريخ السنة، دكتور / توفيق أحمد سلمان، الطبعة السادسة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م (طبعة خاصة).

٢٤٤. نظرات في الشريعة الإسلامية، أ.د/ عبد الكريم زيدان، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - ٢٠٠٠م.

٢٤٥. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، طبعة دار الصفوة بالقاهرة ١٤١٣هـ.

٢٤٦. النكت علي ابن الصلاح، للعلامة بدر الدين أبي عبد الله الزركشي الشافعي، تحقيق ودراسة د. زين العابدين بن محمد بلافريج، نشر أضواء السلف - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٤٧. نزهة المجالس ومنتخب النفائس، للإمام الشيخ الصفوري الشافعي،  
نشر المكتب الثقافي الإسلامي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ -  
٢٠٠٤م.
٢٤٨. نوارد الأصول في أحاديث الرسول، لمحمد بن علي بن الحسن أبو  
عبد الله الحكيم الترمذي، طبعة دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى  
١٩٩٢م.
٢٤٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد  
المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، وآخرين، طبعة المكتبة  
الإسلامية.

## - ه -

٢٥٠. الهداية في شرح بداية المبتدي، لعلي بن أبي بكر بن عبد الجليل  
الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين، تحقيق: طلال يوسف،  
نشر دار احياء التراث العربي-بيروت.

## - و -

٢٥١. الوحي المحمديّ = ثبوت النبوة بالقرآن، لمحمد رشيد رضا، نشر  
مؤسسة عز الدين - القاهرة.
٢٥٢. الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي، صححه محمد زهري  
النجار، طبعة المؤسسة السعدية، الرياض.
٢٥٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن خلكان،  
طبعة بيروت ١٩٨٧م.

## فهرس

المقدمة .....	٣
تمهيد .....	١٦
الفصل الأول : في الكلام علي مكانة السنة وأهميتها، والرد علي مَنْ يحاول التناول عليها .....	٢٠
الفصل الثاني : جمال الحديث النبوي .....	٤٤
المبحث الأول : تعريف الحديث النبوي، وتدوينه وضبطه..	٤٦
تعريف الحديث النبوي .....	٤٧
▪ السند .....	٤٩
▪ المتن .....	٥٢
تدوين الحديث .....	٥٣
▪ أولاً : التدوين الفرديّ للحديث .....	٥٣
▪ ثانياً : التدوين الرسميّ .....	٥٤
▪ ثالثاً : التصنيف العلميّ لكتب الحديث .....	٥٦
ضبط الحديث .....	٥٩
ضوابط نقل الحديث من المصادر .....	٦٢
المبحث الثاني : الفرق بين أسلوب القرآن والحديث .....	٦٤

المبحث الثالث : توصيف الحديث النبوي .....	٧٧
المبحث الرابع : بلاغة الرسول ﷺ .....	٨٥
الفصل الثالث : توجيهات وتحقيقات بلاغية في بعض الأحاديث النبوية .....	١٠١
▪ الحديث الأول .....	١٠٢
▪ الحديث الثاني .....	١٠٧
▪ الحديث الثالث .....	١١٠
▪ الحديث الرابع .....	١١٢
▪ الحديث الخامس .....	١١٨
▪ الحديث السادس .....	١٢٩
▪ الحديث السابع .....	١٣٥
▪ الحديث الثامن .....	١٣٨
▪ الحديث التاسع .....	١٤٢
▪ الحديث العاشر .....	١٥٦
▪ الحديث الحادي عشر .....	١٦٥
▪ الحديث الثاني عشر .....	١٦٩
▪ الحديث الثالث عشر .....	١٧٣
▪ الحديث الرابع عشر .....	١٨٠
▪ الحديث الخامس عشر .....	١٩١
▪ الحديث السادس عشر .....	١٩٦
▪ الحديث السابع عشر .....	٢٠٢
▪ الحديث الثامن عشر .....	٢٠٦
▪ الحديث التاسع عشر .....	٢١٠
▪ الحديث العشرون .....	٢٢٢

- الحديث الحادي والعشرون ..... ٢٣٤
- الحديث الثاني والعشرون ..... ٢٤٠
- الحديث الثالث والعشرون ..... ٢٤٧
- الحديث الرابع والعشرون ..... ٢٥٢
- الحديث الخامس والعشرون ..... ٢٦٢
- المراجع ..... ٢٧٥
- الفهرس ..... ٣٠٠

تمّ الكلام وربُّنا محمودٌ \*\* وله المكارمُ والعلا والجُودُ  
ثم الصلاة علي النبي محمدٍ \*\* ما غرد قُمريٌّ وأورقَ عودُ

كلام الحق  
محموداً

# توجيهات وتحقيقات

في كلام سيد السادات

صلى الله عليه وسلم

